

الجائزة العالمية للرواية العربية



الجائزة العالمية للرواية العربية
INTERNATIONAL PRIZE FOR ARABIC FICTION

مقتطفات من القائمة القصيرة 2020



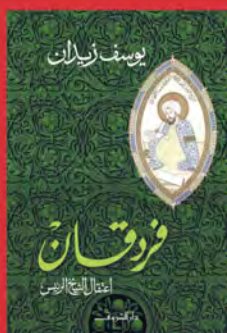
جور الدويهي



خليل الرز



عبد الوهاب عيساوي



يوسف زيدان



عالية ممدوح



سعيد خطيبي



الجائزة العالمية للرواية العربية
INTERNATIONAL PRIZE FOR ARABIC FICTION

الجائزة العالمية للرواية العربية

القائمة القصيرة للعام 2020



دائرة الثقافة والسياحة
DEPARTMENT OF CULTURE
AND TOURISM



بدعم من:

ABU DHABI معرض
INTERNATIONAL أبوظبي الدولي
BOOK FAIR للكتاب

المحتويات

4	عن الجائزة
8	تمهيد: كلمة رئيس لجنة التحكيم مقتطفات من روايات القائمة القصيرة:
10	الديوان الإسبرطي، عبد الوهاب عيساوي
18	الحي الروسي، خليل الرز
26	ملك الهند، جبور الدويهي
34	حطب سراييفو، سعيد خطيبي
42	التانكي، عالية ممدوح
50	فرقدان، يوسف زيدان
58	أعضاء لجنة التحكيم للعام 2020
60	المترجمون



الجائزة العالمية للرواية العربية
INTERNATIONAL PRIZE FOR ARABIC FICTION

عن الجائزة العالمية للرواية العربية

تهدف الجائزة العالمية للرواية العربية، وهي الجائزة الأدبية الأكثر هيبة وأهمية في العالم العربي، إلى مكافأة التميز في الأدب العربي المعاصر، ورفع مستوى الإقبال على قراءة هذا الأدب عالمياً، من خلال ترجمة الأعمال الفائزة ونشرها بلغات عالمية رئيسية أخرى.

أطلقت الجائزة العالمية للرواية العربية في أبوظبي في أبريل/نيسان 2007، وترعاها "مؤسسة جائزة بوكر" في لندن، بينما تقوم "دائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي" بدعمها مالياً. إدارة شؤون الجائزة الشاملة هي من مسؤولية مجلس الأمناء، الذي يضم شخصيات بارزة من الساحتين الأدبيتين العربية والعالمية. أما الإدارة اليومية فهي مهمة المنسق الإداري، الذي يعينه مجلس الأمناء.

من مهام مجلس الأمناء تعيين أعضاء لجنة التحكيم الخمسة في كل دورة، وهم المسؤولون الوحيدون عن اختيار القائمة الطويلة، ثم القائمة القصيرة، والرواية الفائزة. وتتغير لجنة التحكيم سنوياً. بغية ضمان استقلالية عملية الاختيار ونزاهتها، يظل أعضاء لجنة التحكيم مجهولي الهوية إلى حين الإعلان عن القائمة الطويلة. يتم الإعلان عن الرواية الفائزة في احتفالية تقام في أبوظبي في ربيع من كل عام، عشية افتتاح معرض أبوظبي الدولي للكتاب.

تنال كل من الروايات الست التي تصل إلى القائمة القصيرة عشرة آلاف دولار أميركي، بالإضافة إلى خمسين ألف دولار أميركي للفائز. فضلا عن ذلك، يتطلع الكتّاب الفائزون في القائمة القصيرة إلى زيادة في مبيعات كتبهم في البلدان العربية، كما في العالم من خلال الترجمة، وتضمن الجائزة تمويل ترجمة الرواية الفائزة إلى اللغة الإنجليزية.

بالإضافة إلى الجائزة السنوية، تدعم الجائزة العالمية للرواية العربية مبادرات أدبية مختلفة، فأطلقت سنة 2009 ورشة للكتابة الإبداعية تحت اسم "ندوة" للكتّاب الشباب من جميع أنحاء العالم العربي. وتعتبر الندوة الأولى من نوعها للكتّاب العرب، وينتج عنها في كل سنة ثمانية نصوص روائية لائحة من الكتّاب الشباب الواعدين، وقد ترشحت للجائزة أعمال بعضهم، فدخلت في القائمة القصيرة وحتى فازت بالجائزة.

لمزيد من المعلومات:

www.arabicfiction.org



دائرة الثقافة والسياحة
DEPARTMENT OF CULTURE
AND TOURISM

عن دائرة الثقافة والسياحة – أبوظبي

تتولى دائرة الثقافة والسياحة – أبوظبي حفظ وحماية تراث وثقافة إمارة أبوظبي والترويج لمقوماتها الثقافية ومنتجاتها السياحية وتأكيد مكانة الإمارة العالمية باعتبارها وجهة سياحية وثقافية مستدامة وتمييزة تثري حياة المجتمع والزوار. كما تتولى الدائرة قيادة القطاع السياحي في الإمارة والترويج لها دولياً كوجهة سياحية من خلال تنفيذ العديد من الأنشطة والأعمال التي تستهدف استقطاب الزوار والمستثمرين. وترتكز سياسات عمل الدائرة وخططها وبرامجها على حفظ التراث والثقافة، بما فيها حماية المواقع الأثرية والتاريخية، وكذلك تطوير قطاع المتاحف وفي مقدمتها إنشاء متحف زايد الوطني، ومتحف جوجنهايم أبوظبي، ومتحف اللوفر أبوظبي. وتدعم الدائرة أنشطة الفنون الإبداعية والفعاليات الثقافية بما يسهم في إنتاج بيئة حيوية للفنون والثقافة ترتقي بمكانة التراث في الإمارة. وتقوم الدائرة بدور رئيسي في خلق الانسجام وإدارته لتطوير أبوظبي كوجهة سياحية وثقافية وذلك من خلال التنسيق الشامل بين جميع الشركاء.

لمزيد من المعلومات:

www.dctabudhabi.ae



عن مؤسسة جائزة بوكر

مؤسسة "جائزة بوكر" هي مؤسسة خيرية، تأسست في سنة 2002، مسؤولة عن منح جائزة "بوكر" الأدبية وجائزة "بوكر" العالمية. وقد قدمت المؤسسة التشجيع والدعم للجائزة العالمية للرواية العربية منذ تأسيسها. أطلقت جائزة "بوكر" منذ خمسة عقود وهي الجائزة الأدبية الأبرز في العالم الأنغلو فوني، تكافأ التميز في الأدب الإنجليزي، وتمنح لأفضل رواية من كل سنة، في وجهة نظر المحكمين. تتأهل للجائزة الروايات التي كتبت باللغة الإنجليزية ونشرت في المملكة المتحدة أو أيرلندا. يحصل الفائز/الفائزة بالجائزة وكتاب القائمة القصيرة على مزيد من المبيعات واعتراف عالمي. تمنح جائزة "بوكر" العالمية كل سنة لرواية واحدة، ترجمت إلى الإنجليزية ونشرت في المملكة المتحدة أو أيرلندا. تعترف الجائزة بأهمية عمل المترجمين، ويتم تقسيم مبلغ الجائزة بالتساوي بين المؤلف والمترجم.

لمزيد من المعلومات:

www.themanbookerprize.com

تمهيد

تأتي هذه الروايات الست بعدة جيدة في التقنية وفن الكتابة والسرد؛ وهي لا تخلو مضموناً من طراوة وجدة. وحتى عندما تبدو بعضها تتموضع في سياق روائي دارج منذ حين، إلا أن نزعة المحترف للإتيان بالغريب والملتبس حتى من داخل تاريخ الأرشيف المحلي والمدونات الإستعمارية أو السيرّ تقدمها سيرة تستدرج القارئ دون كللٍ أو ملل. فيها محاولات الفجیعة والحزن أيضاً، ولكن ذلك يشهد لها بانتماء إلى واقع أغرب من الخيال في مصائبه ورزاياه.

الديوان الإسبرطي "رواية تاريخية من دون شك: لكنها ليست روايات جرجي زيدان وجيله. إن الأرشيف الوطني والإستعماري يخضع للتفكيك من خلال تعددية الأصوات وتقاطعها، ما بين مستعمر لا يني عن الإحتلال بشراسة، وآخر من بلاده يصعب عليه أن تختلط الأوراق بما يفقد المستعمرين صفة ما تعيدهم إلى خانة الإنسانية. وثالث من بقايا الإدارة العثمانية يلجأ إلى شتى السبل للإبقاء على إدارة وهنت ومرضت منذ حين، وآخر من أهل البلاد، وأخرى مثله، يأتیان بما يقدر عليه لمواجهة المحتل وصدده هنا وهناك. إنها استحضار لما فات بقوة الحاضر وملابساته.

"التانكي" هذه رواية معمار بامتياز، حظها في التجريب يرتقي بها إلى مصاف الكتابات الصادمة. إنها لا تقدم نفسها (خطية) سهلة ميسورة بسلاسة التسلسل التاريخي. إنها غير ذلك. تحضر فيها معمارية البناء، وتنسدل على أجوائها بكائية بغداد التي تحتضر منذ حين ما بين المحتل والميليشيات وزبانية الموت. تأتي بالمكان المحبب، السفينة والأعظمية وشارع الحريري والتانكي، لترينا هذه المساحات منتهكة منهوبة تدفع واحدة من الأهالي إلى الهرب. ويكون السرد بحثاً عنها، لأنها تريد أن تختفي وهي تطارد (الباريسي). لم تعد امرأة طريفة، وإنما هي التي تجوب المساحات كأنها تنتقم لما ضاع من وطن. رواية "التانكي" تحتم على القارئ أن يأتي بعدة كاملة وذهن حاضر ليقراً تقاطعات الصورة بالمحكي، واشتباك الشخصيات وذواتها في محن فيها خطورة وموت، لكن الرواية تسقط عليها متعة أخرى من خلال التفكه والضحك وكذلك استحضار أناشيد سيد درويش ونصوص المتصوفة.

"فردقان: اعتقال الشيخ الرئيس" استحضار لما جرى لإبن سينا بكل ملابسات حياته وعلمه وفلسفته التي بدت أوسع من الواقع الذي يراد تأطيره.

جعل الروائي من ذلك المقطع من حياة ابن سينا ضاحاً بالحياة والمناجاة والكشف؛ وهي مكتوبة بلغة وأسلوب اجتمع فيهما السرد التاريخي بالأدبي، فحققت متعة في القراءة وعطاءً في المعلومات.

"الحي الروسي" لم يسبق أن تظهر الكلاب والقطط والزرافات والأسود بهذه الكثافة في الرواية العربية: لكنها ظهرت الآن بهدوء وتؤدة السرد المتأنى الذي يريد أن يدهش القارئ بما فقده هو الآخر من (إنسانية) جراء الإنهماك في الأخبار البصرية والسمعية التي تحتم تشبيء الحياة، ومعها ملابس الحرب. هذه الرواية تحتم علينا أن نرى الحرب بما عليها من دمار ووحشية وضراوة. إنها تستعين بهذه الحيوانات لتضع القارئ أمام مشاهد ملتبسة ليس موضوعها الشك واليقين، والخطأ والصواب، وإنما (الموت) الذي لا يعرف معنى ولا يميز هذا من ذاك. إنها استحضار للضمير الغائب، ولأنها كذلك فهي بحث عن وعي إنساني يكاد يندثر تحت ماكنة الضجيج والدعاية.

"ملك الهند" تستدرج هذه الرواية القارئ إلى محنة الفرد، ومن خلالها محنة مجتمعات تعجز عن توفير الإستقرار والأمان لمواطنيها: فتكون الهجرة ملاذاً، ومعها ملابس البحث والخوف والحب، والمخاطرة، ثم العودة بعد ضياع وحرمان وجزع. وبدل أن تكون العودة منجزاً عظيماً تكون هي الأخرى مطاردة للغياب وإمعاناً في المحو. "ملك الهند" جذابة ولذيذة، فيها تجتمع العقدة البوليسية، وبوهيمية الحب، وضراوة الواقع، وبهجة المخاطرة.

"حطب سراييفو" هي أكثر من رواية، ولنقل أنها (قصة مدينتين) أخرى، من الجزائر إلى سراييفو، حيث يهرب الأب إلى هناك بحثاً عن ملاذ من نفسه وبقيائه، ليرى نفسه منتهكاً بذلك الماضي الذي يشغل الذهن والروح. وتكون الرواية سيرة الإبن الذي تركه الأب رضيعاً وغادره وهو يعتقد أنه عمه. يأتي الاكتشاف متأخراً، وكأن الرواية تريد أن تجعل من (الأبوة) أمراً مستحيلأ أو غائراً كجرح عميق في سنوات الحروب والميليشيات والإضطراب، والقليل من الحب والكثير من المخاطرة.

محسن الموسوي

رئيس لجنة التحكيم 2020

الديوان الإسبرطي

عبد الوهاب عيساوي

ملخص الرواية:

خمس شخصيات تتشابك في فضاء زمني ما بين 1815 إلى 1833، في مدينة المحروسة، الجزائر. أولها الصحفي دييون الذي جاء في ركاب الحملة على الجزائر كمراسل صحفي، وكافيار الذي كان جنديا في جيش نابليون ليجد نفسه أسيرا في الجزائر، ثم مخططا للحملة. ثلاث شخصيات جزائرية تتباين مواقفها من الوجود العثماني في الجزائر، وكما تختلف في طريقة التعامل مع الفرنسيين، يميل ابن ميار إلى السياسة كوسيلة لبناء العلاقات مع بني عثمان، وحتى الفرنسيين، بينما لحمّة السلاوي وجهة نظر أخرى، الثورة هي الوسيلة الوحيدة للتغيير. أما الشخصية الخامسة فهي دوجة، المعلقة بين كل هؤلاء، تنظر إلى تحولات المحروسة ولكنها لا تستطيع إلا أن تكون جزءا منها، مرغمة لأنه من يعيش في المحروسة ليس عليه إلا أن يسير وفق شروطها أو عليه الرحيل



الناشر: دار ميم للنشر، 2018

العنوان: الجزائر

البريد الإلكتروني:

mim_edition@hotmail.fr

الترقيم الدولي: 2-60-585-9931-978

حقوق الترجمة العالمية: المؤلف



عبد الوهاب عيساوي روائي جزائري من مواليد 1985 بالجلفة، الجزائر. تخرج من جامعة زيّان عاشور، ولاية الجلفة، مهندس دولة الكتروميكانيك. فازت روايته الأولى "سينما جاكوب" بالجائزة الأولى للرواية في مسابقة رئيس الجمهورية عام 2012، وفي العام 2015، حصل على جائزة آسيا جبار للرواية التي تعتبر أكبر جائزة للرواية في الجزائر، عن رواية "سييرا دي مويرتي". في العام 2016، شارك في "ندوة" الجائزة العالمية للرواية العربية. فازت روايته "الدوائر والأبواب" بجائزة سعاد الصباح للرواية 2017. فاز بجائزة كتارا للرواية غير المنشورة 2017 عن عمله "سفر أعمال المنسيين".

فصل من رواية "الديوان الإسبرطي"

ديبون
مرسيليا مارس 1833

إن الشيطان إله هذا العالم يا صديقي المبجل ديبون، وإنني لمشفقٌ عليك مما يحمله رأسك من أوهام، أنت الذي لا تزال تعتقد أن كل النساء هن المجديّة، وأن كل القادة تجل للمخلص... أفق يا ديبون، أفق أو عد إلى مرسيليا.
صديقك اللدود كافيار

اثنا عشر عاماً انقضت على موت نابليون، وثلاث سنوات بعد سقوط الجزائر، وما زالت هذه الكلمات تضجُّ في رأسي، صديقي القديم لم يشأ أن يُغيّرَها في كل خطاب. أجوب شوارع مرسيليا، الناس تناسوا ضجيج السنوات الماضية، وزيارة ولي العهد. آه آسف لم يعد ولياً للعهد بعد أن انقلبوا عليه وصار هو الآخر منفيّاً، أو ظلاً ضئيلاً تبدد في الذّاكرة الضعيفة للناس. في الملّك لا فرق بين عشرين دقيقة أو عشرين عاماً، ولا بين لويس التاسع عشر أو نابليون!! من يا ترى بقي يحتفظ بأحلام المجنون الذي أراد أن يتّوج ملكاً على العالم؟! بالرغم من أن اسمه بقي ينوس في ذاكرة الناس، إلا أن صديقي كافيار كان أكثرهم اشتعلاً بسيرة القائد المجنون، أحب أن أسميه شاول اللعين، يضحك حين يسمعاها. يتفق مع تجار مرسيليا في جدوى بقاء الفرنسيين في هذه المدينة الإسبرطية التي ترتفع خلف البحر، فالتجار في مرسيليا يريدونها بالتأكيد ليس فقط من أجل أمجادهم السالفة، بل لأشياء أخرى، أخرى، المال

كما يقول شاول إله جديد وما أكثر الآلهة! آلهة في البحر وأخرى في البرّ.
ديبون..ديبون..يتناهى لي صوته يناديني من خلف الحُجُب، ساخراً من
أوهامي، حُيِّل لي أنه خلفي، وفجأة ألتفت، أرى وجوهاً لا أعرفها تُخبئ
أجسادها داخل معاطف صوفية، تجوب الشوارع في عجالة، يمتد بصري إلى
نهاية الطريق حيث الزُّرقة والميناء، يترأى لي صديقي القديم هناك واقفاً
يدخن غليونه. هل يمكن أن يكون كافيار قد عاد؟؟ لكن كافيار اختار مصيره
منذ افترقنا قبل سنتين في إفريقية، قالها لي وهو ينفث دخانه في وجهي: عد
يا عزيزي ديبون إلى مرسيليا وإلى جريدتك، مثلك لا يصلح للعيش هنا، نوبة
رُحار واحدة كافية لإنهاء حياتك، أنا أكثر الناس دراية بهذه الأرض وهؤلاء
البرابرة، لا يمكنك تصوّر أن ما تفعله أو تفكر فيه ما هي إلا أوهامٌ صنعتها
مخيلتك. وهكذا عدت.

ربما كان صديقي على حق، غير أنني الآن مدركٌ أن هذه الأوهام كانت في
يومٍ ما حقيقة، وأن يأسِي جعلني أُخدع بِبُسر رغم رجاء ابن ميار، وحتى
صديقه السّلاوي، كانا مُتشبّهين بي مثلما تشبّثت المجدلية بيسوع، وعوّض أن
أطمئنهما فررت، قادني يأسِي إلى التخلّي عنهما مثلما تخلّيت عما كنت أوّمن
به.

أفيق على نسمة ريحٍ باردة تتسلّل إلى جسدي بينما وقفت منتصباً أراقب
الميناء. لم يكن صديقي هناك، الزُّرقة توغل في ذاكرتي، والبرد يحدّ إبره
لتنخسني، فأعود بوجهي إلى دربي الأول، أحتُ الخطى وأنعطف يميناً إلى
شارعٍ جانبي، ثم شمالاً ألج آخر، ويقابلني مبنى المسرح الكبير، أعدُّ أعمدته
السّنة وأفر منه إلى بقية الدُّروب أخطوها مسرعاً كأنني مُطارِدٌ، أتجاوز مبنى
المسرح إلى شارعٍ أوسع يقودني مُنعطفه الثاني إلى شارعٍ فنتور، وما إن أعبّر
مدخله حتى تقابلني لافتة الجريدة، أتهجّى حروفها: جريدة "لوسيمافور دو
مارساي". وقبل أن أخفض عينيّ امتدت يدٌ من خلف الباب وسحبني إلى
الداخل، ثم عبرت بي الرُّواق إلى مكتب المدير، الذي ظلّ ينقل وجهه بيني وبين
الرجل الخمسيني الجالس قبّالتي، ثم خاطبني:

- يبدو أن أصدقاءك القدامى حين فرغت جيوبهم من الذهب ملأوها
بالعظام!

- من تقصد؟؟

أصدقاءك من الضباط يا ديبون، ألم تكن مُراسلاً للحملة التي أرادت أن تُحيل

إسبرطة إلى أثينا، ثم فوجئنا بمدينة رومانية في إفريقية؟
لو أنك كنت هنا يا صديقي كافيار، لعرفت أنني كنت دوماً على حق، ولكنك
تؤثر الانتصار لروحك التي عبأتها سنوات الأسر والعبودية بمشاعر مظلمة،
أنار الربُّ روحك يا صديقي. كنت أصلي لك في قلبي حين أردف المدير:

– أتعرف باخرة باسم بون جوزفين؟
– لعلِّي سمعت بها.

– لم يبق الكثير عن موعد رُسُوها بالميناء قادمة من الجزائر، وسترافق
الطبيب إلى هناك.

رمى المدير الكلمات في وجهي مشيراً إلى السيد الذي قابلني، ثم حمل
معطفه وغادر المكتب، وتركني أحاول تقديم نفسي للطبيب.

تأملني الطبيب ملياً ثم قال:

– يُقال إن الباخرة تحمل عظاماً بشرية؟

– أهي لجنود أوصوا بذلك؟

– لا. بل لمصانع السكر. يقال إنها تستعمل لتبييضه.

ذهلت وأنا أسمع كلماته:

– أُنعي ما تقوله سيدي الطبيب!؟

– أنا هنا من أجل هذا، ما عليك إلا مرافقتي إلى الميناء.

حين غادرنا المكتب كنت مندفعاً، كأنني أثبت لنفسي أو ربما لصديقي
القديم أن ما حدث قبل سنوات ثلاث كان خطأ أحاول التطهر منه بأي طريقة،
وإن اضطررتي الأمر للعودة إلى الجزائر. عند باب الجريدة تراءت لنا العربات من
منعطف الشارع، ركبنا على متن إحداها متجهين إلى الميناء في انتظار بون
جوزيفين.

في الدرب الحجري استعدت كلمات الطبيب، سحابة الإشاعات ظلّت مرسلية
أياماً، ثم أمطرت مسحوقاً أبيض تفرّز منه الناس، ولكن هل صدّقوا أنه لعظام
بشرية؟ لم أكن لأدري سوى ما أراه من تغيير على ملامح الطبيب. فكّرت لو
أسأله هل يصدّق فعلاً هذه الإشاعة؟! شعرت باضطرابه كلما تقدّمتنا من
الميناء، كدت أوعز للحوذي أن يتوقف دقائق غير أنه بادرني بالكلام:

– أريد إقناع نفسي بالأأثق في هذه الإشاعات ولكن الضمير يُحتم عليّ
المُعانية، أنا خائفٌ من وزير هذا العار.

– أنت تعلم أنه ليس عارنا الوحيد، وكل الأمم لها ما يسوؤها من المثالب.

- كلها أوجدتُ لها المبررات، ولكن أي شيء يُبرّر بيع عظام أمةٍ أخرى
وبدعوى مثل التي تُشاع؟!

- إن المال إله جديد، يُغيرك كي تحفر القبور وتَأْكُل عظام إخوتك بدعوى
كثيرة، وإني لموقنٌ أننا سنجدُها بالباخرة، ليس لأن لي نبوءات صادقة بل لأنني
عرفتهم بصدق، وعن كتب.

اهتزّت العربية عند المنعطف الأخير، وحاولت أن أعتدل في مكاني، رفعت
رأسي لأطلّ من النافذة، رأيت بعض البحّارة يجوبون المكان، تتغيّر ملامحهم
كلما حدّقوا إلى امتداد الزرقة الداكنة للبحر. هل قاسموا بعض السّاسة في
باريس آراءهم؟ لطالما كان الجنوب مثيراً للمشاكل، لكن البحارة غير السّاسة،
البحر يجعلك تؤمن أن هناك يقيناً ما وإن كان غامضاً لكنه ينتابك حين
تشتاق إلى اليابسة، أما السّياسة فهي شيء آخر حيث اللّايقين هو اليقين
الوحيد الذي عليك اعتناقه. انتبعت إلى توقّف العربية وإلى نداء الحوذي يطلب
منا النزول، فتحت الباب ونزلت ليتبعني الطبيب، جابت عيناه الفضاء من
حوله فلم يترأّ له غير خطّ الأفق، قلت:

- إذن لم تصل بعد بون جوزيفين؟

التفت إلي واتخذ وجهه سمة أكثر جدية:

- علينا إذن الانتظار.

انقضت ساعة أو ربما أكثر، خفّت حركة البحارة، وبعض التّجار بعد أن
حملوا أشياءهم رحلوا، وبقي آخرون مثلنا يحتلون المقاعد، حتى تراءت لنا
الباخرة في الأفق، ولم أجزم إن كانت فعلاً بون جوزيفين أم لا، شككت أنها هي
حين انتبعت إلى وقوفهم في الزاوية الأخرى، ثيابهم وقبّعاتهم فضحتهم من
أول وهلةٍ تقابلت فيها الوجوه. وها هو الترقّب والاندفاع يؤكّد بقية شكّي.

وقف الطّبيب عند عتبة الرّصيف ينتظرها، كان مدركاً أول ما رآها أنها هي،
عيناه كانتا تقولان هذا منذ البداية، في حين انشغلت عنه بتحليلاتي البائسة
مثلما كان يسمّيها صديقي كافيار: ديبون يا ديبون لماذا تشغل نفسك بهذه
الأفكار السّخيفة؟ أعتقد أنك سوف تنتصر لهؤلاء البرابرة؟.

لو كان كافيار هنا لما انتظرتُ طويلاً مع الطبيب، ولاستخرج من جيبي
عظاماً قد تكون لطفل صغير، أو ربما لعجوزٍ ويهديني إياها: خذها إنها تصلح
أن تحت منها صليباً تعلقه في عنقك.

ولم لا يا كافيار؟ ما الفرق بين أن أعلّق صليبا من العظام أو أن أحولها

سُكَّرًا، أليس الأمر سواء؟! ومهما يكن الإله الذي تؤمن به فإنه لن يرضى بهذا. في القديم كان الناس يؤمنون بآلهة متعددة تتصارع فيما بينها، واليوم صاروا يؤمنون بإله واحد يُتاجرون بأجساد بعضهم من أجله! أليس هذا ما كنت تريد قوله يا صديقي كافياري في كل مرة يَحْتَدُّ فيها النِّقاش بيننا حول مآخذك على المدينة التي أَسْميتها إسبرطة، ألم تقل إنك أُسْتَعْبِدت بها وليس مثلك جديرًا أن يتكلّم عنها؟! نعم إني مُقَدَّرٌ عذابك ولكنك لن تتطهّر منها بتعذيب الآخرين، العذاب يُؤلِّد المعرفة لا الكراهية، والحكمة لا الحقد، والإيمان لا الكفر. حين أُرْخِيت القلوب وسُدَّتْ المرساة تراجع الطبيب إلى الخلف خطوات متفاجئًا، أترأه تكهن أن تكون الباخرة التي ينتظرها تحمل عددا لا يستهان به من المدافع؟ أم أنه حَمَنَ أنها سفينة تتبع الأسطول التجاري؟ كنت أرى مدى خيبته وهو يكتشف المفارقة العجيبة، محاولًا المقارنة بين عدد التُّجار الذين كانوا يتوافدون أمامه وعدد الجنود الذين يستقلُّون الباخرة. لحظات ثم عاد يراقب بعضًا من المسافرين في نزولهم، الخواء الذي كان بيني وبينه لم يلبث أن امتلأ بالناس، تُجَار مرسيليا الصغار كانوا ينتظرون الغلال التي أتت بها بون جوزيفين، وآخرون أرسلوا وكلاءهم وقعدوا خلف مكاتبهم في الجهة الأخرى من المدينة. حملت نفسي ووقفت إلى جانبه بينما اقترب منه أحد البحارة، لم ألتقط الكلمات الأولى من الحوار غير أنني رأيت يد الطبيب الممدودة بالوثيقة، تفحصها البحار ثم صعد الدَّرَجَات مسرعًا، غاب دقائق وعاد مُلوِّحا لنا من الأعلى أن نتبعه، صعدنا حتى بلغنا سطح الباخرة، وتجاوزنا البحار بخطوات ثم توقف فجأة ووجّه الخطاب إلى الطبيب:

- هنا غرفة النقيب.

كان النقيب يقف في نهاية الغرفة، وجهه أمام النافذة، يفصلنا عنه مكتبٌ صغير فوقه خرائط وبوصلة وكتاب ضخم، التفت إلينا وحدّق في الطبيب مليًا، وعاد يُقَلِّب الوثيقة كأنه غير مصدق ما دُؤن:

- الوكيل المدني يرسل لنا طبيبًا ليُفْتِشْنَا، أليس هذا ما جئت من أجله؟

- ليس بهذه الصورة سيدي النقيب، إنما هو تحقُّقٌ من شيء لا يصلح له إلا الطبيب. وقد أراد الوكيل المدني تدارك الفضيحة إن كانت الإشاعة حقيقية.

صمت النقيب لحظة ثم قال:

- قدمتما من أجل صناديق العظام؟

أجبتة مستفهما:

– أفي الباخرة غيرها؟!

– لا يعينيك غير ما تبحث عنه، هذا شرطي إن أردتما رؤيتها.

رد الطبيب:

– ليس لنا غير ما نبحث عنه سيدي.

ارتفع صوت النقيب مُناديا، وفجأة دخل البحار الغرفة، لحظتها طوى الوثيقة وخبأها في جيبه وطلب من البحار مُرافقتنا إلى أسفل الباخرة، خطا الطبيب إلى الأمام مُتجاوزا البحار الذي نبّهه كي يُعيده إلى مكانه، وخطا هو الآخر إلى الباب المُفضي إلى أسفل الباخرة. رفعه ونزل عبر سلّم مُشيراً أن نتلوه. تبعه الطبيب حينئذٍ، ثم كنت أنا في أعقابهما، وما إن لامست رجلاي الأرض حتى تراءت لي الصناديق مصفوفة دون عناية ظاهرة، خلفنا انتصب البحار عند السلّم وتقدّم الطبيب إلى أول الصناديق، حاول فتحها وعجز عن ذلك، إذ كانت أقفالها الكبيرة تتأرجح على جانبيها، ولم يدر أي شيء يفعلهُ وهو يقلّب بصره بيني وبين البحار، لكنّ عينيّ كانتا تُفتّشان المكان بحثا عن أي شيء للمساعدة. لم يمهلي البحار إلا دقيقة غاب فيها خلف السلّم ثم عاد بمطرقة، وتقدّم إلى الصندوق وهوى على قفله فحطّمه، ثم راح ينتقل من قفل إلى آخر وكأنها لعبة استهوته! البحر أحيانا يجعل مرتاديه أقرب إلى فعل الحماقات مثلما كان يقول كافيّار، هذا المجنون أتذكّره دائما في أوقاتٍ غريبة، بودّي لو كان معنا، هل تراه سيتفاجأ بالذي تحويه الصناديق؟ بمّ أجيبه لو لم تكن بها إلا عظام حيوانات؟ سيقهقه ويكرّر جملته الأثيرة: دييون أيها الطيّب، إنك تذكّرني بأطفال الشُّموع في الكنائس، أستغرب أنك كنت ترى الجنود وهم يتناترون من حولك مُضرجين بدمائهم وما زلت تفكّر بهذه السذاجة.

دائما كان كافيّار أفصح مني، ولكنه يعترف دوماً أنّي أشدّ عنادا منه، ومع هذا افترقنا ولم يُغيّر كلالنا أيّ شيء في صاحبه.

الحي الروسي خليل الرز

ملخص الرواية:

تحكي هذه الرواية عن حي يرفض الدخول في الحرب الدائرة من حوله طيلة سنوات، ولكنه يجد نفسه، أخيراً، مرغماً على دخولها، فيدخلها بالحكاية وليس بالأسلحة. أبطال الحكاية هم زرافة في حديقة الحيوانات، كلب بودول، كلبة أفغانية، وعصفور منسوج من الصوف. ومن الشخصيات الأخرى الراوي وهو مترجم يعيش في حديقة الحيوانات في الحي الروسي، وفيلسوف إيفانيتش صحفي روسي سابق يعمل حالياً مديراً لحديقة الحيوانات، وأبو علي سليمان أستاذ لغة فرنسية وصاحب محل ألبسة، عصام بطل شعبي يعمل في كباريه ورشيدة المغربية عازفة عود سابقة في كباريه، أركادي كوزميتش كاتب روسي مغمور ونونا بنت عازف كلارينيت تنسج الصوف وتعيش مع الراوي في حديقة الحيوانات، وآخرون...



الناشر: منشورات ضفاف، 2019

العنوان: بيروت، لبنان

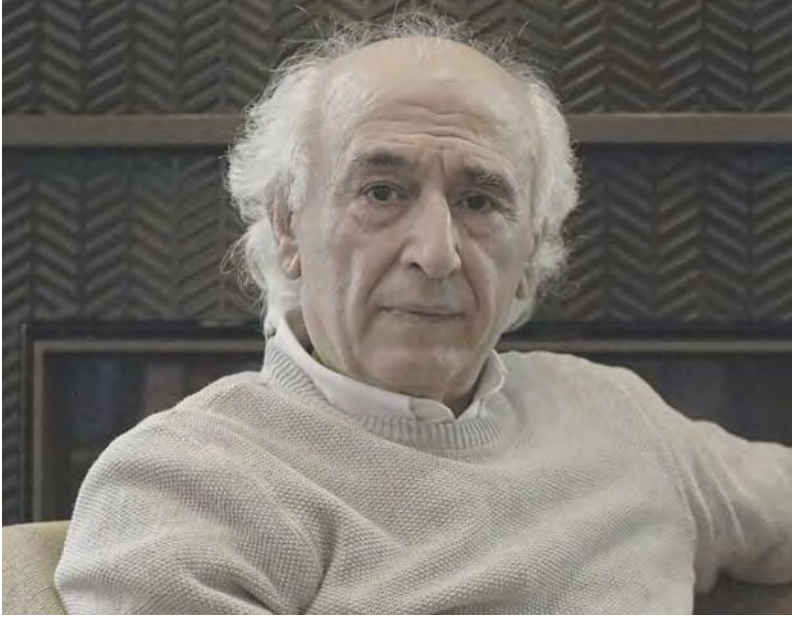
الهاتف: 00961-3223227

البريد الإلكتروني:

edition.difaf@gmail.com

الترقيم الدولي: 9-1724-02-614-978

حقوق الترجمة العالمية: الناشر



خليل الرزائي ومترجم سوري من مواليد 1956. صدر له مسرحية وتسع روايات، منها "غيمة بيضاء في شباك الجدة" (1998)، "أين تقع صفديا يوسف" (2008) و«بالتساوي» (2014). وفي الترجمة عن اللغة الروسية صدر له "حكايات الزمن الضائع" ليفغيني شفارتس (2004)، "مختارات من القصة الروسية" (2005) و«مختارات من قصص أنطون تشيخوف" في مجلدين (2007).

مقطع من رواية "الحي الروسي"

1

على سطح حديقة الحيوانات في الحي الروسي كان تلفزيوني الـ14 بوصة يعرض، من فوق طريزة قريبة من خطم الزرافة، مباراةً من الأرشيف بين إسبانيا والأورغواي. كنت أسمع أصوات المدافع القريبة التي لم تهدأ منذ الصباح الباكر، وأشرب الشاي الذي أصبح بارداً، وأنتظر فطائر التفاح التي يخبزها دينيس بتروفيتش أستاذ الكلارينيت في المعهد العالي للموسيقا، وأشاهد مع الزرافة أهدافاً باليةً سُجِّلت بالأسود والأبيض قبل خمسين عاماً في مدريد. كانت المدافع القريبة تقصف غوطة دمشق من بساتين الحي الروسي. لكنني كنت أصغي، بانتباهٍ قِطٍّ، إلى الدرج الطويل الفارغ حتى الآن، خلف الديوانة التي أسترخي عليها، والذي يمكن أن يمتلئ فجأةً بخطوات نوناً الرشيقة في أيِّ لحظة - كانت قد ذهبت إلى المركز الثقافي الروسي في وسط العاصمة لزيارة أبيها. كان البدر ينبري، وشاشة التلفزيون تلمع بقوة في عيني الزرافة الواسعتين السوداوين، وبنورها الفضيّ تغمر، على شفيتها، الوبَر الكثيف الذي يكاد يلامس اللاعبين البائدين والمتفرجين البائدين والعشب البائد في ملعب كرة القدم.

دائماً بدت لي المساحة المخصّصة للزرافة ضيقةً على جهامتها البادية بالمقارنة مع ما يجاورها من كتل الحديقة وحيواناتها. وقد اعتاد المارة في الشارع المجاور على مشاهدة رأسها المنيفة من فوق السور وشجيراته منذ سكنتُ في غرفة صديقي صالح على سطح مستودع الحديقة. كان صالح قد اختفى من الحي الروسي قبل الحرب بعدة شهور. وكنت قد خيبتُ أمل زوجتي بي، وأمل أبيها أيضاً، بخصالٍ كثيرةٍ غير محمودَةٍ من وجهة نظرهما - لا يتسع المجال الآن، ولا الضرورة ربما، لتعدادها أو التطرُّق إليها. لكنني حين

شعرت بأنني أصبحتُ فائضاً عن الحاجة والاعتبار في منزلي، الذي تملكه زوجتي وأبوها، تركته لهما دون تلوُّؤ ولا ندم. وكان المكان الذي تركه صالح في حديقة الحيوانات ما يزال شاغراً في تلك الفترة، فملاؤه دون إبطاء بمباركة حارة من الكلبة الأفغانية رئيسة بتروفنا وصاحبها فيكتور إيفانيتش - زميلي القديم في غرفة مترجمي صحيفة "أنباء موسكو" قبل أكثر من عشرين عاماً، والمدير الحالي لحديقة الحيوانات في الحي الروسي ورئيس تحرير مجلة الحائط فيها.

لم أكن شخصاً غريباً على الزرافة قبل أن أصبح جارها، فقد كان لي حضوري المُرَّحَب به دائماً من قبل الجميع في حديقة الحيوانات منذ مدة طويلة. وقد كان يحلوا لي أن أظن، كلما اقتربت من الزرافة، أنها تميزُّ يدي من بين كل الأيدي التي تمتد إليها عادةً من داخل السياج. كنت أشعر أنها لا تتحرَّج مني، كما تفعل عادةً مع إيفانوفنا التي تزيل الفضلات من تحتها يومياً، ولا تبدي لي شيئاً من الحذر الخجول، كما تفعل مع الطبيب البيطري بشير غندورة الذي يعاينها من وقت إلى آخر. ولعلها كانت تتعمد أن تلتفت إلى جهتي حيث أكون، وفي أحيان نادرة كانت تنحني برأسها فوق رأسي حين تشعر براحة كفي تربت على قائمتها أو بأصابعي تُخرج الأحجار الصغيرة العالقة بين أظلافها.

ما كان يفوتني طبعاً علاقة الزرافة الطيبة مع جميع زملائها في الحديقة عاملين وإداريين وحيواناتٍ على حدٍ سواء. كأنَّ إحساسها بارتفاعها البالغ فوق الأشياء والكائنات الأخرى كان يمنحها استعداداً فطرياً للعطف على الجميع، والتودد إليهم. ومن جملة ما لفتني دائماً، بهذا الخصوص، أنها لا تبخل أحياناً بعناء الانحناء من فوق سياجها لتتحقق كأنما، مرةً أخرى وأخرى، من إزالة الكلفة بينها وبين جارتها النعامة من الجهة الأخرى، وفي بعض الأحيان كانت تمدُّ إليها لسانها الأسود الطويل، وتمسُّ، برفق ومودة وحذر، جبينها الضيق وأسفل منقارها المفلطح ورقبتها الموبرة النحيلة، بينما لا تنقطع هذه عن دهشتها الدائمة بعينيها الجاحظتين المدورتين. وفي طريقها إلى حافة سطحي، بعد حلول الظلام، كانت تتوقف وتتلفت، على هينتها، إلى هنا وهناك، حتى إذا لفتها شيء محدد دققت به بصيرٍ واهتمام، لتتأكد، ربما، من أن الذئب العجوز الموعك دائماً ما يزال حياً مع عجوزه في قفصهما الصغير، وأن العقبان السوداء لم تتعب من تجهمها طيلة الوقت فوق ذراها

الاصطناعية وراء الشبك العالي، وأن الليمورات المشاغبة الصغيرة ما تزال حتى هذه الساعة تنطنط بين أغصانها المصبوغة اليابسة. وقد عرفت الأفغانية رئيسة بتروفنا، قبل أيّ كائنٍ آخر في الحديقة، كيف توجد لنفسها مكانة خاصة في قلب الزرافة - كانت تعيش مع فيكتور إيفانيتش في غرفة على السطح المقابل لسطح صالح، الذي أصبح سطحي، فتقفز، تقريباً كلّ صباح، إلى الفسحة أمام غرفتي وتقف على حدّها، ثم تبدأ، وقد أطلت الآن على فناء الزرافة، بلفت نظرها إليها بنباحٍ متلاحقةٍ خفيضةٍ ورقيقة. وكانت الزرافة لا تتردّد بالاستجابة لندائها الحميم فتقترب منها، وبانحناءٍ قصيرةٍ فقط تكون بمواجهتها مباشرة. ثم لا تلبث أن تسبل جفونها برموشها الغزيرة الطويلة الفاحمة مستسلمةً، بهناءٍ واطمئنان، لرئيسة بتروفنا إذ تنكبّ هذه بلسانها، بهمةٍ وإخلاصٍ وفخر، على تنظيف فتحتي أنفها المسطّحتين وجبينها المحدّب وعينيها المغمضتين وأذنيها وقرنيها القصيرين.

مع ذلك، ولأسبابٍ غامضةٍ لا أستطيع إثباتها بوضوح، فقد خيل لي، مع مرور الأيام، أن أحداً في الحديقة لا يدنو من مكاني عند الزرافة. وقد عزّز لديّ هذا الانطباع أنها، منذ ليلتي البعيدة الأولى في غرفة صالح، بدأت تخصّني من بين معارفها وزملائها المقربين بذلك الإصغاء الخالص الذي لا يهدف على الأغلب إلى فهم ما أقول. وما كنت بطبعي كثير الكلام، لكنني أحتاج أحياناً لبعض الكلمات المسموعة فأقولها أمامها كيفما اتفق لأتخلّص من وجودها بلا جدوى في فمي. وأحياناً أجدني في المساء أقرأ أمامها بصوت مسموع، بالروسية أو بالعربية، من كتابٍ في يدي، أو من قصيدةٍ في بالي.

ورغم أنني أكتفي، في غالب الأحيان، بخواطري المتداعية أمامها دونما حاجة إلى الكلمات، فإنها لا تكفّ، في هذه الحال أيضاً، عن إصغائها الشديد الصافي إلى صمتي نفسه. كأنها تأنس، في كلّ مرة، بضوضاء خفيفةٍ محبّبة تصل إليها فقط من خواطري ومشاعري مباشرة. وكان يسرّني طبعاً، وأنا شبه مستقل على الديوانة ويدي تداعب جبينها المحدّب وقرنيها القصيرين، أن أنتبه إلى قمر يحتجب الآن بغيمة عابرة، أو إلى قطة تنظّف نفسها على السطح المقابل، أو إلى جلبةٍ تحتدّ فجأةً في الشارع المجاور. وعلى عكس الحرج الذي يلازمني عادةً، كلما طال صمتي بحضور الأشخاص الآخرين، فإنني لا أشعر به أبداً بحضور الزرافة مهما طال، فقد كانت تُشعّرنني دائماً بأنها تجد بي ما تفكّر به وما تبحث عنه وما تصغي إليه في كل الأحوال. وأحياناً كنت أجلس

أمام وجهها مباشرةً على كرسي قش لأصل بيدي إلى بداية عرفها، ولتتمكّن، إذا شاءت، من الإصغاء إلى هواجسي عن كتب. كأنها، بعينيها الموثقتين وأذنيها المتيقّظتين، كانت، كلما ساحت لها الفرصة، تنبش في وجهي ماضياً سعيداً لها من أشجارٍ لذيذة في غابات بعيدة، وشركاء ومعارف من حيوانات وطيور ما عادت تسمع اصطخابها منذ وقت طويل. وأحياناً كنت أشعر، كما لو في حلم يقظةٍ هنيء، أنها، في كلّ مرةٍ، كانت تفتفي في ملامحي أثر وليدٍ سقط إلى الحياة من رحمها العالية في يوم غابر بعيد، ولم تعرف أين وكيف فقدته ذات ظهيرة مشؤومة لاهبة.

2

وكان يومٌ من الأيام انتبهت فيه نوناً إلى البصل الأخضر، كما لو أنها تراه لأول مرة، فاشترت جرزةً. وكانت حديثة العهد بدمشق، فلم تعدت بعدُ على أكل البصل الأخضر الطازج، ولا حتى مع الخبز واللبن. غير أنها عرفت فجأةً الغاية من شرائها جرزة البصل الأخضر في ذلك النهار حين التقت بي، للمرة الأولى، على درج مدخل المركز الثقافي الروسي في وسط العاصمة القديمة دمشق. كنت أعكم بين زراعيّ رزمة أعداد قديمة من جرائد روسية، اشتريتها بالكيلو من مكتبة المركز لاستخدامها في مجلة حائطٍ حديقة الحيوانات. وكانت نونا تمسك جرزة البصل الأخضر بزهوٍ ظاهر، وقد استوقفها منظري فجأةً، فجعلتُ تتمعّن بي كأنها تستحضرني من حوادثٍ ماضيةٍ وأمكنةٍ بعيدة. وإن تهيأتُ، كأنما، لأن تهجم عليّ وتحضني مع جرائدي ترددت في اللحظة الأخيرة وليثتُ في مكانها. لكنها، وقد احمرّ وجهها الآن وارتعشت شفتاها الزهريتان، مدّت إليّ جرزة البصل الأخضر كما تقدم باقة ورد. وكنت في تلك اللحظة مستعداً، أنا الآخر، لأن أحضنها بكلّ جرائدي، لا لأنني عرفتها من قبل، كما كان يمكن أن نعتقد معاً بسهولة، بل لأنني عثرت، في وقتي الحرج آنذاك، على امرأةٍ مثلها تهتمّ بي.

– تذكرني؟؟ أنا نوناً!

سألتنى بحرارة، فهديتُ حزمة الجرائد الضخمة على صدري بيدٍ واحدة،

وتناولتُ بالأخرى جرزة البصل الأخضر بإحساسها العالي به- كما أتلقَى
بقاوة ورد.

- أنا أذكركَ. انتظرنِي هنا!

أردفتُ، ثم ركضتُ على الدرج، وغابت في باب المركز الثقافي الروسي. وكنت
كأنني لا أريد في حقيقة الأمر أن أذكرها. أصبحت الجرائد الآن أخفَّ عليّ وأقلَّ،
وأذنان البصل الأخضر الشهيّ قريبةً من وجهي، والمارة من حولي أقلَّ تجهماً
وأكثر اتساقاً بعضهم مع بعض، فما كان يلزمني أن تكون هناك، أو لا تكون،
حكاية قديمة بيني وبين نوناً مهَّدتْ، دون أن نحتسب، للقائنا الحارَّ المباغت
قبل قليل. لم أكن على الأغلب في حاجة إلى أسباب إضافية تفسرها لي، أو
تسوِّغ اندفاعتها نحوي، أو تبرّر وقوفي السعيد الآن على رصيف شارع 29 أيار
أمام درج المركز الثقافي الروسي أنا وجرائدي وبقاوة بصلها الأخضر. كلُّ ما
كان يهمني في تلك اللحظة هو أنني أنتظر امرأة جميلة أحتاجها بكلِّ قواي. وإذ
تأخرتُ عليّ لم أبادر طبعاً إلى تكذيب حواسِّي ولا مشاعري. ظللتُ واقفاً في
مكاني لا أفكر في غيابها، بل فيها، دون أن أشعر بمرور الوقت. ثم لفتني عجوز
أعمى يتبع عصاه، تردّد لحظةً حين حاذاني على الرصيف، ثم ابتعد عني بمقدار
خطوتين أو ثلاث، ووقف إلى جانب شجرة صنوبر فتية. وكما لو أنه صادف
الآن في ظلام عينيه صديقاً عزيزاً قرب الشجرة، فجعل يبتسم له بوداعة، وقد
تأكّدتُ عصاه من وجوده بحركات رشيقة أمامه في الفراغ. ما أردتُ أن أنغص
عليه احتفائه بما يراه من دوني. حاولتُ ما أمكنني أن أشعره بعدم وجودي إلى
جانبه، وأن أحداً غيره لا يرى، ولا يتوقَّع، صديقه العزيز في ظلامه المطبق من
حوله، ثم نظرتُ إلى السماء أتشاغل بزرقها الصافية. وهنا باغتتني عصاه
الطويلة بلمسة خفيفة على ركبتي، كما لو بمحض المصادفة، فالتفتُ إليه-
كان يعرّض ابتسامته، وينظر من وراء جفونه المفعّسة المتلاصقة باتجاه
مدخل المركز الثقافي الروسي حيث ظهرتُ نوناً فجأةً من الباب. كانت الآن
بثوب أصفر ذهبّي قصير يُظهر بياض ساقها وذراعها العاريتين من
الأكام، وقد تدلّت من كتفها حقيبة يد حمراء. وفي نزولها الرشيق السريع على
الدرج بدت لي فاتنةً إلى درجة أنني لم أعد أذكر ما كانت ترتديه قبل ذلك.
تريّتُ تكاد تلهتُ أمامي، وقد انفرجت شفتاها الزهرتان وعيناها السعيدتان

تستطلعان في وجهي خطوتنا المشتركة الأولى في العاصمة القديمة دمشق. نظرتُ إلى الأعمى - كانت ابتسامته ما تزال عريضة من أجلنا على الأغلب أنا وبنوًا. ثم خيل إليّ أن صديقه العزيز، الذي لا نراه، والذي ما يزال ربما واقفاً أمامه في ظلامه الدامس إلى جانب شجرة السنوبر، كان يحضنا، هو الآخر، الابتسامة العريضة نفسها. ودَعَتْهُمَا معاً، بانحناء ودودة قصيرة من رأسي، ثم رفعتُ يدي لأوقف سيارة أجرة أقلّنتني وبنوًا إلى حديقة الحيوانات في الحي الروسي.

ملك الهند جبّور الدويهي

ملخص الرواية:

في ظروف غامضة، يُعثر على زكريا مبارك مقتولا عند حدود قريته، تل صفرا، بعد أيام من عودته من غربة طويلة بين أوروبا وأمريكا وأفريقيا. لقد اختار العودة محتفظا بلوحة "عازف الكمان الأزرق" لمارك شاغال، التي أهدتها له صديقتة الباريسية. تدور الشبهات حول أبناء العمومة الذين ربما قتلوه طمعا في كنز توارثت العائلة أن الجدّة قد أخفته تحت المنزل الذي شيده لدى عودتها من أمريكا. بأسلوب مشوق تحكي الرواية قصة مقتل زكريا عند تقاطع خطر اختلطت فيه خرافات الذهب وحروب الأشقاء مع حب النساء الفرنسيات ووعد الثورة الزائف وعداوات طائفية تظهر وتختفي منذ قرن ونصف.



الناشر: دار الساقي، 2019

العنوان: بناية النور، شارع العويني،

فردان - بيروت - لبنان

ص ب: 113/5342

موقع الدار: www.daralsaqi.com

البريد الإلكتروني:

info@daralsaqi.com

الترقيم الدولي: 978-614-03-2117-5

حقوق الترجمة العالمية: المؤلف



جبور الدويهي روائي لبناني من مواليد زغرتا، شمال لبنان، عام 1949. حصل على شهادة الدكتوراة في الأدب المقارن من جامعة السوربون ويعمل أستاذاً للأدب الفرنسي في الجامعة اللبنانية. لقد نشر حتى الآن ثماني روايات بالإضافة إلى مجموعات قصصية وكتب أطفال. حازت روايته الأولى "اعتدال الخريف" (1995) على جائزة أفضل عمل مترجم من جامعة أركنساس في الولايات المتحدة. وصل إلى القائمة القصيرة للجائزة في سنتها الأولى 2008 بروايته "مطر حزيران" (2008) التي ترجمت إلى الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية، ووصل إلى القائمة القصيرة عام 2012 بروايته الخامسة "شريد المنازل" (2010) التي حازت على جائزة حنا واكيم للرواية اللبنانية، وفازت النسخة الفرنسية للرواية بجائزة معهد العالم العربي بباريس لأفضل عمل عربي مترجم (عام 2013). وصلت روايته "حي الأمريكان" إلى القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية عام 2015 وصدرت بالإنجليزية.

مقطع من رواية "ملك الهند"

كرم المحمودية

جاء في الصّفحة الرابعة والثلاثين من كتاب "شاهد عيان على محنة جبل لبنان" وفيه أخبار حوادث سنة 1860 المشؤومة، طُبِع في الإسكندرية سنة 1892: "فسدت النوايا والنفوس الأمانة بالسوء هبّت إلى شرب الدماء في كلّ أنحاء البلاد ووصلت الفتنة إلى قرية تلّ صفرا التي تقع على مسافة خمسة عشر ميلاً من بيروت إلى جهة الشرق وسكانها من النصارى والدروز فوق قتال بين أهلها ولم يكن مشهوداً لنصارى البلدة بالبأس وحبّ القتال، ومن بعدها سقط قتلى في العبادية وعلى طريق زحلة...". هذا كلّ شيء. تلك الكلمات العمومية هي الأثر الوحيد المطبوع وحتّى المکتوب حول المقتلة التي شهدتها بلدة زكريا مبارك قبل قرن ونصف القرن. لكنّ المزارعين، خصوصاً المسيحيّون منهم الذين غلبوا على أمرهم في حينه، تولّوا نقل فصول النزاع شفهيّاً إلى أبنائهم جيلاً بعد جيل، أصوات من قلب المأساة تشهد على عذابات فردية لا يحفل بها المؤرّخون المنكبّون على رواية "إدارة" الأحداث أكثر من تدوين تفاصيل الأحداث نفسها.

ومن هذه الأصوات المکتومة الهامسة صوت بهيّة المراد. تمسك بيد ابنتها فيلومينا بعد أن تغسل لها شعرها وتجدلّ لها ضفيريّتها وتمشي بها نزولاً صوب مطلّ الصنوبر، وتحكي. غالباً ما تحكي كأنّها تتكلّم وحدها. إختارت فيلومينا لتودّعها فاجعة حياتها، رأت في عينيّ ابنتها البكر ما لم تره في وجه شقيقتها البريئة الصغرى كاترينا. صارت تروي على مسمعها، وفيلومينا مُصغية ما تزال في سنّ تعصى عليها فيه بعض المعاني لكن يتسرّب إلى قلبها الصغير حزنُ أمّها العميق وغبها الذي لا تطفئه السنون. تخبرها كيف كانت الأيام حلوة والدنيا تنعم عليهم بألف خير، يعيشون في بحبوحة لأنّ والدها كان شريكاً عند آل أبي نكد في كرم "المحمودية"، هذا "الذي تربيته أمامك هناك وتصل حدوده إلى قعر الوادي". إقتلع أشجار الرّيتون الدّهريّة وغرس بدلاً منها

أشجار التوت لتربية دود القز. كانت صناعة الحرير رائجة، وبهية في عمر الزواج، والأقارب والجيران يمدحون جمالها فسهر في بيتهم مرّتين شاب من إحدى القرى القريبة يقول الرّجل ويلبس صدرية مقصبة وكوفية حمراء من الحرير الخالص، صاحب نخوة وأخلاق. إنتظرها بعد أيّام على طريق الفرن ليرافقها بضع خطوات ويبلغها بكلّ جدية واقتضاب أنها إذا لم تقبل الزواج منه سيدخل إلى الرهبنة المريمية. صار قلبها يضرب كلّما لمحتة في البلدة أو في بستان المحمودية حيث كان يعمل مع والدها في موسم القز ويتعلّم مهنة الخياطة في سائر شهور السنة. أقنعت أمّها التي تشاورت مع أبيها، فوافق وأتفق الجميع على عقد الزواج يوم عيد القديسين بطرس وبولس.

صارت بهية تعدّ الأيام وهي تحضّر لعرسها جهازاً من شغل يديها، لكن ما إن دخل شهر أيار حتّى خرج الأهالي على صراخ وجلبة فوجدوا فلاحين يحملون جثة شاب من البلدة قتل عمداً في سكة الكروسة إلى الشام وكان مترافقاً مع ثلاثة من عسكر الدولة لم يحركوا ساكناً لمنع الدروز من ضربه بالعصي ورميه بالحجارة حتّى الموت. صلّوا عليه ودفنوه، وجاء وفد من دروز البلدة في اليوم التالي استنكروا الحادثة وتبرأوا منها، واتفقوا مع المسيحيين على عدم القتال فيما بينهم ومن يسع إلى المشاكل فليلتحق بحزبه خارج تلّ صفرا. هدأت النفوس وعاد الناس إلى أشغالهم، وانشغلت بهية من جديد بتحضيرات عرسها فجاء خبر الشيخ أبو سعيد حمدان وهو من وجهاء تلّ صفرا وصاحب بأس واقتدار. وقع في كمين نصبه له المسيحيون ناحية حمدانا، وقيل إنهم عذّبوه قبل قتله وإنه عُرف من بين مهاجميه شاب من تلّ صفرا انقطعت أخباره فيما بعد ولم يُعرّف له من حينه مُستقرّ. لم يُبدِ الدروز ردة فعل فورية بل انتظروا حتّى وصل رسلهم إلى أقاربهم وأنصارهم في قرى الجوار، وتجمّعوا خارج البلدة في الصّباح قبل أن يقرع جرس الكنيسة موعد القدّاس الأوّل وهاجموا الحارة المسيحية وبدأوا بإحراق البيوت والأماكن. تمشي أمامهم نايفة أخت الشيخ أبو سعيد وهي تحورب طلباً للثأر.

خرجت بهية حافية القدمين خائفة على أبيها وعلى خطيبها اللذين كانا قصدا الكرم فجراً. ثلاثة أو أربعة من الدروز يمتطون الجياد فيما الباقون يهاجمون سيراً على الأقدام، فركضت تسابقهم إلى الكرم وحاولت الوقوف في وجههم وتصرخ بهم "لم نقاتلكم ونريد السّلام فأعفوا عنّا"، لكن أحد الفرسان وجّه الجواد نحوها وكاد يدهسها فوقعت أرضاً على حافة الطريق. رفض والدها

وخطيبها الهرب كما فعل سائر المسيحيين الذين لم يكونوا يوازرون بعضهم وكانوا مشتتين من دون قيادة، وما إن صارا على مرمى بنادق الدروز حتى أُطلقت عليهما النار من عدة جهات فلم تترك لهما فرصة للنجاة، وسقطا وسط بستان شجر التوت، واختفى المهاجمون جميعهم بلمح البصر.

كانت عندما تصل إلى هذه اللحظة من روايتها تتوقف عن المسير لتهدأ دقات قلبها وتستعيد المشهد ثابتاً لا يهتز، فتكمل وهي تضمّ ابتها إلى صدرها:

صرتُ وحدي مع والدي وخطيبي في كرم التوت. كان هواء البحر بارداً في ذلك الصباح، أوّل مرة قبلتُ فيها خطيبي كان ميمتاً مرمياً على الأرض، وقف بوجههم وهو أعزل من أيّ سلاح، رفض ترك والدي وحده. عانقتُ والدي الذي لم يعانقني مرّة في حياته، تقول أمي إنّي كنت المفضّلة لديه، لا ينام طوال الليل إذا ارتفعت حرارتي قليلاً لكنّه كان يخجل من ضميّ. صرتُ أبدب على ركبتيّ وأكدش التراب، واعتقدتُ أنّي سأموت أيضاً لا بل رغبتُ في الموت، صرتُ أمرغ وجهي بالوحل، مدّدت أبي على ظهره، وجهه إلى السماء، وكذلك فعلتُ بخطيبي وشبكتُ يدي كلّ منهما على صدره كما أتصوّر الملائكة في السماء، وافترشتُ الأرض بينهما ونمتُ على ظهري مثلهما. أذكر أنّي سمعتُ غناء الحساسين في تلك اللحظة وغبتُ عن الوعي. وصلوا إلينا قرابة الظهر، حملوني وأجلسوني في فيء شجرة وفمي ممتلئ بالوحل، لم أر والدي وخطيبي، لم أعرف إلى أين حملاهما، حاولتُ البكاء لكن احترق الدمع في عينيّ.

نزل العسكر الفرنسيّ من البوارج الحربيّة في شواطئ لبنان وعادت الحياة إلى طبيعتها في تلّ صفراء، بقيتُ بهيّة المراد من دون عزاء واعتقدتُ أمّها أنّها ستصاب بالجنون ولا دواء لها سوى الزواج، فecedوا قرانها وهي شبه ممتنعة عن الكلام على شابّ فقير الحال رُزقت منه في أقلّ من سنتين بفيلومينا وكاترينا قبل أن يسقط في وادي الحجل حيث عُثر عليه ميمتاً بعد يومين. قاد إلى جنّته البغلّ الذي سقط عن ظهره وشرّد محملاً فوق طاقته بأكياس الدقيق على الطرقات. قيل إنّ بهيّة المراد لم تبكِ زوجها لأنّها لم تعد قادرة على الحزن، ولم يلبسوها حتّى الأسود خوفاً على حياتها، وقيل أيضاً إنّ هناك من "كتب" لها، وحكي عن امرأة تركمانيّة الأصل تزوّجت في البلدة كانت تحسد بهيّة على جمالها. وكانّ تلك التي كتبت لها كتبت أيضاً لابنتها فيلومينا التي تشبهها بقوامها وعينيها الواسعتين.

حصّتها الجمال وسوء الطالع. لكن إذا كانت بهيّة استسلمت لحزنها فإنّ

فيلومينا غالبت القدر وغلبته. أُغرمت هي أيضاً بشابٍ لا يملك من متاع الدنيا الكثير، يُطلب منه في فصل الشتاء تنقية الأشجار وتقليمها، وفي بداية فصل الربيع تطعيم الكرز والتفاح، ويجني مردوداً بسيطاً لا يكفيه لإعالة نفسه وزوجته. قصده يوماً وكيل آل أبو نكد طالباً منه تنظيف الكرم وزراعته إلا أنّ فيلومينا التي عاد إليها في لحظة صوت أمّها المفجوع توسّلت إليه أن لا يفعل وأن لا يقترب من المحموديّة، وعرضت عليه التعويض من مدّخراتها البسيطة وبيع إساورتين من الذهب كانتا لأمّها.

وقد عرفت المحموديّة حكاية غريبة استمرّت حتى أيّامنا هذه، وبدأت مع مقتل جدّ فيلومينا وخطيب والدتها ودفنهما سرّاً في أسفل الكرم لأنّ الوصول إلى مقبرة المسيحيين في البلدة كان متعذراً آنذاك بسبب وجود الدروز المسلّحين في ناحيتها، وقد أخفي الأمر عن بهيّة التي بقيت تعتقد أنّهما يرقدان فوق، في المقبرة.

عاقبت السّلطات المشايخ النكديين لمشاركتهم في الهجمات وأعمال القتل، فصادرت أملاكهم ومنها كرم "المحموديّة" البالغة مساحته مئة دونم. بقي مهملاً لا يدخله أحد لسنوات، حتى قرّرت "النظارة الجليلة" في متصرفيّة جبل لبنان إعادة الأملاك الخاصّة إلى أصحابها، وأعيد العمل لصالحهم بعقود الشراكة. ضرب اليباس الكرم وأقفل معمل الحرير القريب فلم يبق سوى اقتلاع أشجار التوت وبيع حطبها الرخيص. تلا ذلك إبرام عقد مغارسة لمُدّة خمسة عشر عاماً وقّعه ورثة سلمان أبي نكد مع شريك مسيحيّ بدأ ينصبها أنواعاً مختلفة من الأشجار التي قامت بسرعة، بينما عمّاله يؤمّنون الريّ والفلاحة، ووعده نفسه ببداية موسم العطاء بعد ثلاث سنوات. وفي فصل الربيع المنتظر، هبّ هواء خمسينيّ ساخن لم تعرفه يوماً هذه الجهات، وقيل إنّّه قادم من الصحراء الليبيّة البعيدة، فهزّ الزّهر وضرب الدود الثمر والأغصان التي تحوّلت يباساً أسود وأودى في أقلّ من أسبوع بمجهود سنوات من العمل الدؤوب. حضر جميع أهالي البلدة يعاينون كارثة لم يروا لها مثيلاً في حياتهم ولم يدركوا لها سبباً. اشتكى المربع أمره إلى آل أبي نكد فاشفقوا عليه واسترجعوا الكرم منه من دون بند جزاء. تكرّر الفصل بعد سنوات وبهيّة تنظر إلى السّماء وتتمتم قائلة "كبير أنت يا الله!". تقدّم شريك آخر مقتنع أنّ العيب ليس في الأرض بل إنّ سلفه لم يُحسن العناية بها وبالزّرع. نصب المحموديّة عنباً وسهر عليها فلاحه وريّاً وتقليماً، حتىّ جاء برد قارص ومطر تلاه جليد صباحيّ أحرق

جفنت المرواح والعبيدي وقضى على آمال الشريك الثاني. لم يعد من بعدها آل نك يجدون مَن يستثمر لهم الأرض، لا مرابعاً ولا مغارساً. أهملوها وكبر فيها الهيش، وتكاثرت الأفاعي والخلد والثوت البري الذي يخشى النَّاسُ أكله، وصار الأهل يُوعزون إلى الأولاد بعدم الاقتراب منها.

في هذه الأثناء، قرّر مسعود مبارك زوج فيلومينا الهرب، فارتدى سرواله الأسود المقصّب النّظيف وقميصه الأبيض والجزمة العالية وهي المتاع الثمين الوحيد الذي ورثه عن والده، ومشى والمقصّ في شملته كأنه في طريقه إلى تقليم أشجار أحد البساتين. مشى وفقد أثره إلى الأبد، وكان صموتاً لم يُودع سرّ رحيله المبالغت أحداً. لم تتأخّر بهيئة المراد، والدة فيلومينا في اللحاق بمن ذهبوا بعد أن أُصيبت في سنواتها الأخيرة بعجز عن النطق دخلت معه إلى نفسها ولم تخرج، فتوفّيت قبل ولادة حفيدها جبرائيل بأيام معدودة.

أدركت فيلومينا أنّها إذا بقيت وسط أهلها المنكسرين، لا حول لهم ولا قوّة، وفي جوار أقارب زوجها الذين لم يهتموا كثيراً لأمرها، فلن تلقى من الحياة كفافاً ولا فرحة. قرّرت ذات صباح وهي تتأمل ابنها يدب على ركبتيه، يحاول مناداتها ويتمسك بها سعياً إلى الوقوف على قدميه، قرّرت مقاومة الموت الذي يطاردها وإزاحة كلّ هذا الأسى عن كاهلها. ومن دون أن تنظر صوب البحر الذي كانت تحببه في هذه الأثناء غمامة صباحية بيضاء، عرفت أن ليس أمامها سوى الرّحيل إلى البعيد، وكان شائعاً في تلك الآونة السّفر إلى أمريكا وللنساء وحدهنّ أيضاً، فسافرت.

وقعت في غيابها الحرب الكبرى، ونزل الضّيق والفاقة بالناس وأرعبتهم أخبار الموت جوعاً التي ترد من الشمال، من جهات بلاد جبيل والبترون. لا تزال المحمودية هشيماً لا تعطي حبة ثمار واحدة، فتعاون أهل البلدة على فلاحتها وزراعتها قمحاً في الخريف على أمل أن تسدّ حاجتهم من الخبز. وحدها كاترينا التي ربّت جبرائيل ابن شقيقتها فيلومينا مع أولادها، تعرف أن لا زرع سينبت في المحمودية لأنّ الدم ثقيل ولأنّ هناك في الدنيا عدالة إلهية. وبالفعل عندما كبرت السنابل وغطّى خضار الربيع الطالع هذه المساحة الشاسعة، بدأت تصل الأخبار عن الجراد الزاحف على سفوح جبل لبنان، ولم يطل الانتظار فإذا به يغطّي السماء ويحجب نور الشّمس ويقضي على الأخضر واليابس في يوم أو يومين. عادت المحمودية كرمماً قاحلاً، وهرب الكثير من الدّروز إلى أقاربهم في بلاد حوران، وحاول المسيحيون تدبّر أمورهم رغم الضّيق وانتشار مرض التيفوس.

يئس أصحاب المحمودية منها بعد انتهاء الحرب ولم يجدوا من يقبل بمشاركتهم استثمارها. ذاع صيتها في القرى المجاورة، وحيكت حولها الأخبار من كل نوع أن أرضها فاسدة والغضب يلحق بها من الإلهة عشتروت التي شيّد المعبد الروماني إكراماً لها.

والأخبار من هذا الصنف الميتولوجي نشرها عالم آثار مستشرق يُدعى أناتول بارتيليمي جاء إلى لبنان مع الجيش الفرنسي. إصطحب معه ابنته، واستأجر بيتاً في تلّ صفراء، وبدأ الحفر حول المعبد الروماني في البلدة الذي قرأ عنه في كتاب رحالة ألمانيّ أحصى في القرن السابق آثار سوريا ولبنان وفلسطين وغرائبها. وقيل إن بارتيليمي أخرج ليلاً وبعيداً عن الأنظار تمثالاً من مرمر أبيض لامرأة جميلة مقطوعة الذراعين، ورأس قيصر اعتقد أنه كراكالا المعروف بأنطونينوس، وأوانٍ وجراراً كان يُجمع فيها رماد الموتى بعد إحراقهم، وشحن ما وجده إلى مرسيليا في عهدة الجيش الفرنسي. يعرف العربية ويتحدث مع القرويين، يسألهم عما يعرفونه من مرويات على لسان أهلهم وأجدادهم عن الهيكل الروماني فلا يشفون غليله. يسأله البعض لاعتقادهم أنه كلّي المعرفة عن رأيه بعقم أرض المحمودية، فاخترع لهم قصة لأنه مقتنع أن أهل الشرق يحبون القصص، عن حبيب عشتروت الذي كان صياداً هاجمه خنزير برّي بينما كان يحمل قوسه ونشابه على هذا المنحدر الذي يسمونه المحمودية وعضّه في رجله فنزف طويلاً قبل أن يموت. وليست الأزهار التي يسميها المسيحيون "دم يسوع"، وهي شقائق النعمان التي تظهر بكثرة في الكرم، سوى دمه الأحمر القاني. شكت عشتروت ما حلّ بها إلى كبير الآلهة الذي حكم على الأرض باليباس، باستثناء زهرة الدم الحمراء تفرش وجهها في شهر الربيع الأوّل. وتبيّن فيما بعد أن بارتيليمي هذا، ومع انتقاله إلى مواقع أثرية أخرى، راح يكرّر الرواية الميتولوجية التي لاقت رواجاً كبيراً إلى الشمال من بيروت، وساد الاعتقاد أن الاحمرار الذي يعكّر كل سنة مياه أحد الأنهر هناك ليس سوى دم الصياد الذي قتلته الطريدة.

حطب سراييفو

سعيد خطيبي

ملخص الرواية

صاغ سعيد خطيبي عالمين متقاطعين في روايته "حطب سراييفو"، مقدما مصائر معذبة بحربين عبثيتين، لكنه في الوقت ذاته عقد مقارنات ذكية بين مصائر الجمعية في دولتين ربطتهما علاقة صداقة وجمعتهما إيديولوجية في مرحلة تاريخية، قبل أن ينزلا إلى الجحيم. لا شيء يجعل البشر متشابهين سوى الألم. ففي الجزائر كما في البوسنة والهرسك، انتهى القرن العشرون داميا، تفرق الناس بسبب الدين والعرق ووحدهم الألم. تشابهت أقدار سليم وإيفانا عندما هرب كل منهما من حرب طاحنة في بلده، ومن الكراهية، ونهباً ينشدان حياة أخرى في سلوفينيا. ترصد الرواية من خلالهما بشاعة الاقتتال بين إخوة الوطن الذين يصبحون إخوة في الألم فقط، وفي المنفى تتبعهما رائحة الحرب وتتبدى عليهما ملامحها.



الناشر: منشورات ضفاف، 2019

العنوان: بيروت، لبنان

الهاتف: 00961-3223227

البريد الإلكتروني:

edition.difaf@gmail.com

الترقيم الدولي: 978-614-02-1689-1

حقوق الترجمة العالمية: الناشر



سعيد خطيبي روائي جزائري من مواليد 1984، درس في الجزائر وفرنسا. حصل على ليسانس في الأدب الفرنسي من الجامعة الجزائرية، وماجستير في الدراسات الثقافية من جامعة السوربون. يعمل في الصحافة منذ 2006 ويقيم في سلوفينيا. سبق له أن أصدر: "مدار الغياب" (ترجمة لقصص جزائرية باللغة الفرنسية، 2009)، "كتاب الخطايا" (رواية، 2013)، "جنائن الشرق الملتهبة" (كتاب رحلات في دول البلقان، 2015)، "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" (رواية، 2016)، و«حطب سرايفو» (رواية، 2018).

فصل من رواية "حطب سرايفو"

عينا الجنيّة

في هذه المدينة الوجلة والمُرتجفة، تتناسل المصائب، دفعة واحدة، من جحرها، تنزل على رؤوسنا وتهشمها. السفارة رفضت طلبي للحصول على تأشيرة إلى سلوفينيا، وفي اليوم الموالي، استيقظت وقد صرت بلا عمل، بلا دخل، مُشتتًا، تائهاً، مغضوبًا عليّ، لا أعلم أين أولي وجهي.

بعد نشر حوار، مع مُعارض سياسي، يُقيم في لندن، جاء القرار القاصم، بمنع الجريدة من الصدور. القرار لم يصل إلى رئيس التحرير ولا إلى مدير النّشر، بل وُجه إلى المطبعة، حيث أخبرنا مسؤول فيها أن أمرًا وصل من وزارة الاتّصال بعدم سحب الجريدة، دون أن يعلمنا بالسّبب. نحن فقط إجتهدنا وزعمنا أن القرار سببه الحوار. «أنا أطبق الأوامر لا غير»، قال لنا ذلك المسؤول.

- صرت عاطلاً.

أخبرت مليكة.

- أوظّفك عندي، كحارس شخصي، وأدفع لك راتبًا كلّ شهر.

ردّت عليّ ساخرة.

سخريّتها بدت لي في غير محلّها، أنا في حيص بيص وهي تقهقه، مثل صبيّة مطمئنة، لكن قصدها كان بريئًا. أرادت أن تنكّت لتغيّر مزاجي وتلهيني عن قلقي وتوترتي لا أكثر. حدسها لم يخطئ. يوم أخبرتها، في الهاتف، عن تكليفي باستطلاع في قرية «سيدي لبقع»، ردّت عليّ: ببرودة دم: «أنت تُرهق نفسك، ولن تخرج بطائل». امتعضت من ردّها حينها، لكنني استوعبت كلماتها فيما بعد. في بعض الأحيان، كان يتملّكني شعور غريب تجاه مليكة. أشمّ فيها رائحة الأمومة التي يبحث عنها رجل فقد أمّه قبل أن يفظم من تعلقه بها. بعدما هزل جسد الحاجة فاطمة وفقدت الشّهية للأكل وعانت من غثيان مزمن وافترس السّرطان روحها، بحثت عن رائحتها في واحدة من خالاتي، دون جدوى، ولم أجدها في أي امرأة أخرى من اللواتي قابلتهن فيما مضى، عدا

مليكة، التي أحسست فيها دفناً ضائعاً، نوراً يُعيدني للمرأة التي أحتاج حضورها.

بقامتي الطويلة، بشرتي الفاتحة وملامي الهادئة، أبدو في مظهر أخ أصغر مليكة، التي علت جبهتها تجاعيد خفيفة، وليس حارساً شخصياً لها.

– لماذا لا تذهب إلى جريدة أخرى؟

– نفقات الإعلانات قلت وفرص إيجاد عمل تضاءلت.

في العام الذي صرت فيه يتيماً، بعد حصولي على ليسانس في الإعلام، التحقت بجريدة «الحرّ». عملت في الأشهر الثلاثة الأولى كمحرّر في صفحة «مراسلون»، خلفاً لمحرّرة ثلاثينية، خرجت في إجازة أمومة، ثم استقالت وانتقلت للعيش، برفقة زوجها ورضيعها، في مدينة ساحلية، شرق البلاد. كنت أتلقّى، كلّ يوم، عشرات الفاكسات والمكالمات الهاتفية، من مراسلين شباب، عن أخبار بسيطة وأحياناً غير ذات أهمية، أخبار تملأ صفحتين، عن تهيئة أرصفة في قرية نائية أو حملة تشجير في قرية أخرى، عن مواطن يبحث عن دواء مفقود وآخر ميسور الحال تبرّع بمال لبناء مسجد، عن مقبرة نصارى نُبشت قبورها، أو كلاب تتجمّع خلف مدرسة وتُربع الأطفال. أخبار متنوّعة، وأحياناً لا تستحق الذكر، أُعيد قراءتها وتحريرها وأختار عناوين لها وأرسلها للتركيب وللنشر في اليوم التالي. بعد انقضاء ثلاثة أشهر، حوّلني رئيس التحرير إلى القسم الثقافي. تعرّفت على فتحي، صرنا صديقين وأثار في نفسي شغف الأدب والكتابة. صرت أقوم بمهام خارجية، بإجراء تغطيات ميدانية، وأحياناً تصل الجريدة كُتب جديدة، بالعربية أو الفرنسية، أطلع عليها، أنا وفتحي، نتناقش حول مضامينها وحيات مؤلفيها، وأكتب تقارير عنها. لكنني لم أبق في القسم الثقافي أكثر من عام وأربعة أشهر. قرّر المدير إلغاء الصّفحة الثقافية، نابت عنها صفحة تسلية وكلمات متقاطعة، تتحوّل، في رمضان، إلى صفحة وصفات طبخ، وانتقلت، مع فتحي، إلى القسم السياسي. وجددني أكتب عن الموت والموتى، عن الغول الذي يتربّص بنا، وعن تصريحات مسؤولين في الدولة، ذوي وجوه عريضة وشوارب كثّة، أعرف أسماءهم وصوّرهم، لكن لم يسبق لي أن التقيت واحداً منهم، وأكلف، بين الحين والآخر، باستطلاعات عن أمكنة سُفكت فيها الدّماء، في الجزائر العاصمة أو خارجها.

– أنت العازب الوحيد، الذي يمكن أن نتكل عليه.

علّق، مرّة، رئيس التحرير.

كلّفتني بتلك المهام لأن بقية الزملاء متزوجون ولهم أبناء يخافون عليهم. لكن أنا أيضاً أخاف على نفسي. صحيح أنني فقدت أمي، وبدأ والدي، الذي أصابه الزهايمر، يبتعد عني، لكنني لست مستعداً أن أفقد روحي، من أجل بشر لا أعرفهم، أتعاطف معهم، لكن لا أحد منهم سيتعاطف معي لو متّ بسبب حماستي في الكتابة عنهم وعما يجري لهم.

– اللي فات مات.

حاولت مليكة طمأنتي.

أنظر في عينيها الملونتين، أزرق يُجانِب بَنّي، وأقول في نفسي ربما مسّها جنّ وهي بعد جنين في بطن أمّها. ربما هي نفسها جنيّة، امرأة مشوومة وأنا لا أدري. أنزل بنظري إلى شفّتها، اللتين تبللّهما باستمرار بلسانها، أنتظر منها أن تبتسم لتظهر أسنانها البيضاء، لكنها تتمنّع. وتعود إلى نكتها.

– لو تقبل بالعمل كحارس شخصي لي، سأدفع لك مقابلًا وأبحث لك عن زوجة تُناسبك.

أحضرت قنينة ماء باردة، من الثلاجة، عدت إليها وسألتها:

– ألن تذهب لزيارة أهلك؟

– لا رغبة لي في زيارتهم، ومواجهة أسئلتهم المكررة عن حياتي الخاصّة. حورية زارتهم وأخبرتني أنّ خالتي تودّ خطبتي لواحد من أبنائها. تخيل!

– ما المانع؟

– لست من النّوع الذي يميل إلى زواج الأقارب.

– إن بقيت تتمنعين، فلن تتزوجي أبداً.

صمتت، لبرهة، ثم حدجتني بنظرة ملؤها الغضب: «وش دخلك؟». فاجأتني «قوادة»، غمغمت. اختفت ملامح الهزل عن وجهها وصارت عيناها حبّتا كرز لامعتين.

– هل عاود نواطير الأرواح مُراسلتك؟

توقّعت أن تُجيب بالنّفي، لكنني تفوّت بالسؤال فقط لتلطيف الجوّ.

– من يضمن أنّهم لن يفعلوها ثانية؟

ذات مرّة، أرسلوا لزميلة سابقة، في جريدة «الحرّ»، قطعة قماش أبيض تشبه كفنًا، وصابوناً، وكتبوا لها في ورقة صغيرة «إنّ عُدتم عُدنا»، وسألني نفسي: ماذا لو وصلوا إليّ؟ وهدّدوني؟ لم أجد إجابة، وشغلني الخوف يوماً كاملاً، وأنا أدعو، في سرّي، أن يجنّبني الله أمراً كذلك.

أنعزل أنا ومليكة في زاوية من غرفتها الصّغيرة، المرتّبة بما يليق بقارئة وفيّة لجون ستاينبيك، أناييس نون وإرنست هيمنغواي. كلّ شيء نظيف وفي مكانه: ستار التّافذة، الأغطية، السّريّر، الكرسيّان الخشبّيان ومكتبها الصغير، الذي تتزاحم فيه روايات كتّابها الأمريكيّين المفضّلين. نجلس متقابلين ونصمت. صمت لا يكسره سوى صوت الشّاب خالد، المنطلق من آلة التسجيل، حين يرتفع بأغنياته القديمة، نشعر أن الأرض تتوقّف عن الدّوران.

«إذا لقيتو حبيبتي تمشط... بشعرها غطّوني

إذا لقيتو حبيبتي تبكي... بدموعها أروني

إذا لقيتو حبيبتي ميتة... حذاها ادفنوني».

يصح خالد، وتغمض مليكة عينيها الملونتين، واضعة خدّها على راحة يدها اليسرى. تترك الكرسي، تضع مؤخرتها على الأرض، وتسد ظهرها إلى السّريّر. تُعيد خصلة طائرة إلى خلف أذنها وتتنهد كما لو أنّها تودّ قول شيء ما، ثم تترك صوت خالد يتحدّث بدلها.

خالد حاج إبراهيم، وهذا اسمه الكامل، هو ملح البدايات وربيع الأسفار وذاكرتنا الوطنية. ذلك الوهراني الأسمر يتكلّم عنّي، عن قصد أو دون قصد منه، يصفني، في أغنياته، أفضل مما قد أصف ذاتي. في الزّمن الأحمر هذا، تستحيل أصوات البشر إلى نواح وبكاء، عدا صوت خالد الذي يُجاهر بالحبّ والانعتاق. «النيغرو» أو الزّنجي، كما يُسميه الوهرانيون، يعرف كيف يدقّ على قلب من يستمع إليه. شاهدته، قبل فترة، في التلفزيون، يغني بعينين مغمضتين، وهو يقف أمام الميكروفون مثل جندي مُطيع، بابتسامة ساطعة، وشارب غير مصفّف لا يشبه شوارب غيره من الرّجال. أحد الكتّاب قال: «رجل بلا شارب أشبه بامرأة بشارب» والمثل الشّعبي عندنا يقول: «إذا حلق رجل شاربه صارت المرأة أفضل منه». هل يعني هذا أنني لست رجلاً مكتمل الفحولة؟ هل تودّ مليكة أن تراني بشارب وتخفي رغبتها عنّي؟ لم يسبق لها أن علّقت على ملامحي، لكنّها تحبّ الشّاب خالد، وخالد لا يحلق شاربه، ربما تُريد أن تسمعي صوت مغنيها المفضّل لتوصل لي رسالة، تعجز عن الإفصاح عنها.

«ما عندي حاجة في النّاس... أنا إن شاء الله ديما لا بأس... واللي هدر خاطفلي ذنبي... أنا نامن بالقدر... وما ندي غير مكتوبي... ما نحبش نشغل البال... ما راحلش في القيل والقال... طبعي نكره الأندال... وما نطمع إلا في ربي»، يواصل خالد غناؤه، وتمرّر مليكة يدها اليميني بهدوء على شعرها، الذي

طال وصبغته بالأسود، كشعر إيزابيل عجّاني في فيلم «صيف قاتل». هل صبغت شعرها من أجلي؟ للفت انتباهي. لكنني لم أتفوه بكلمة ولم أمتدح جمالها. أقرّ أنني لست رومانسيًا، ولا أليق بنساء رومانسيات. ظللت أتفرّس في وجهها، أبُلّل شفتي بلساني مثلما تفعل، وأستمع إلى صوت الزّاي الصّادح من آلة التّسجيل، المنطلق نحو سماء أرحم من الأرض التي نعيش عليها، وهي تشيح بنظرها عني، وأنا حائر: هل عليّ أن أحضنها؟ أن أوقف الموسيقى وأحدّث إليها؟ جلست، على الأرض بجانبها، طوّقت خصرها بذراعي، منتظرًا اللحظة الملائمة، لأنقّض على شفتيها.

مليكة لا تشتري أسرطة كاسيت ولا أسطوانات موسيقية، تتفادى الدّخول إلى محلات بيعها، خشية الشّبّهات كما تقول، تتجنّب الذهاب إلى الحمام النّسائي يوم الجمعة ولا تذهب إلى صالون حلاقة، بل تستضيف صديقة لها تصفّف لها شعرها، أو تصبغه، من حين إلى آخر، وتسجّل الأغاني من الإذاعة، التي تبثّ سهرات الخميس والجمعة والاثنين أغانٍ قديمة وأخرى جديدة. في الليل تُراقص الأحياء وفي النّهار تترحم على الأموات.

حين دخلت حورية إلى البيت، انتفضنا من مكاننا. أوقفت مليكة آلة التّسجيل، وندمت أنني ضيّعت فرصة ملاعبتها. خرجنا من الغرفة للترّحيب بها، واستلّت حورية خمارها ليظهر شعرها المصبوغ بالأشقر، والمعقود كذيل حصان، مثل شعر شتيفي غراف، ثم قبّلتنني على خديّ، وهممت بالانصراف، حين حاولت مليكة أن تقنعني بالبقاء وأن أتعشّى معهما، لكنني أصررت على العودة إلى شقّتي.

- تخيلي لو أن نواطير الأرواح زارونا ليلاً، ووجدوني معك، وليس بيننا دفتر عائلي؟

همست إليها، مازحًا.

- سأضمن أن نموت معاً ولا تخدعني مع امرأة أخرى.

عدت إلى كتبي المفتوحة والمبعثرة، في شقّتي، إلى ملابسي وأغراضي المتناثرة. نظرت إليها بقلب منقبض. فأنا لم أعد مثلما كنت في السابق. أنا رجل منحوس. عاكسني القدر ولم أحصل على فيزا للسفر. وصرت بلا عمل، صحافي عاطل. وبقائي في العمارة بات مسألة وقت لا أكثر. قد لا أستطيع توفير مال ودفع تسبيق آخر.

تقلّب مزاجي وفقدت الشّهية في الأكل. اتّصل بي فاروق، يسألني عن حالي،

وأخبرته أن السفارة رفضت طلبي للحصول على التأشيرة. حرّضني على أن أعيذ الكزة، وأردت أن أخبره أنني صرت بلا عمل، وأن الجريدة توقفت عن الصدور، لكنني ترددت. كان سيجد في الأمر سبباً ليكثّر تأنيبه لي، فهو الحاجّ لم يكونا راضيين على خيار عملي كصحافي. أظنّ أن سي أحمد أيضاً لم يكن راضياً عن قراري. أمّا خالاتي: زوليخة وسعدية وشريفة، فلم يقلن شيئاً، ولم يكن لهنّ رأي فيما يحصل مع ابن أختهن. اقترح عليّ الحاجّ، بعدما أنهيت الجامعة، أن أذهب إلى الصحراء، للعمل في شركة بترولية، بفضل وساطة من صديق له، لكنني رفضت. اعتبر، هو وفاروق، قراري غير منطقي وأنني غير حريص على مصلحتي، ولو علم فاروق بما حصل في الجريدة، لكثّر على مسامعي تلك الأسطوانة القديمة، بأنه أدرى بمصلحتي منّي. فاروق يُعاملني أحياناً معاملة القاصر، كما لو أنني ابناً له. لا تفصل بيننا سوى خمس سنوات، إلا أنه يُريد فرض وصايته عليّ، كما يفعل قادة الكشافة، الذين من كثرة صرامتهم يُثيرون اشمئزاز الوافدين إليها.

سأعيد طلب التأشيرة، مرّة أخرى.

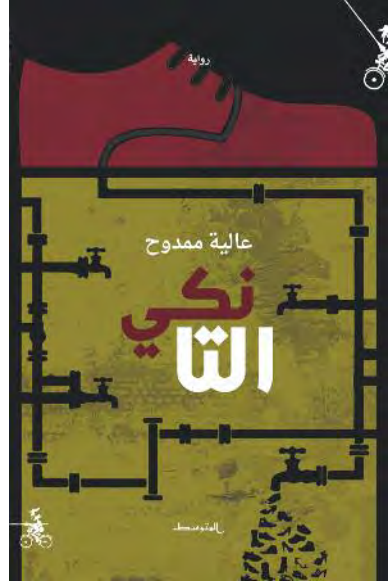
قلتها له، من غير اقتناع، ثم أقفلت الخطّ.

شغلت الرّاديو، وأنا أنشّ الذّباب، الذي لم تنفع معه مبيدات، براحتي يديّ، وسمعت المذيع يثرثر عن فريق وداو تلمسان، الذي فاز بكأس الجمهورية، ثمّ غيرت المحطّة، إلى الإذاعة النّاطقة بالفرنسية، وسمعت المذيع يتكلّم عن ذكرى «مؤتمر الصّومام». يتحدّث عنه باعتباره حدثاً مفصلياً في تاريخ البلد وفي ثورة التّحرير... «مؤتمر الصّومام كان بوصلة غيرت تاريخ الجزائر»، قال المذيع بنبرة المنتصر... ليت الشّهداء يعودون ويُشاهدوا أين أوصلتنا البوصلة. غيرت المحطّة إلى إذاعة مغربية، تبتّ أغانٍ شرقية. تمدّدت في السّرير، ككلب واهن، تفوح منّي رائحة العرق، أغمضت عينيّ، وطففت على مخيلتي وجوه زملائي الشّاحبة وتجهّمهم، بعد أن علموا بقرار وقف سحب الجريدة. وعزمت على الذّهاب، في اليوم الموالي، إلى مقهى شعبي، في ساحة الشّهداء، عملاً بنصيحة فتحي، لمقابلة واحد من «السّماسرة»، ومساومته في تأشيرة سفر مزوّرة. فالخروج من هكذا بلد مزيف، لم يعد لي رزق فيه، يحتاج إلى تزييف جادّ وصارم.

التانكي عالية ممدوح

ملخص الرواية

تشتغل رواية "التانكي" بعلاقة الإنسان بالمكان المسلوب، وكيف يمكن بعد أربعة عقود من الزمن في المنافي، أن تتخيل الكاتبة عودتها إلى العراق، لتبدأ رحلتها في رصد التحولات الكبرى التي مر بها البلد والتغييرات التي حدثت في المجتمع، عودة أدبية، لكنها تلامس حدود التراجيديا، بنسج حياة تتشارك فيها مع أبطالها، ما طال المكان من تحولات.



الناشر: منشورات المتوسط، 2019

العنوان: ميلانو، إيطاليا

البريد الإلكتروني:

info@almutawassit.org

www.almutawassit.org

التقديم الدولي: 1-03-32201-88-978

حقوق الترجمة العالمية: المؤلف



ممدوح كاتبة وروائية عراقية من مواليد 1944. خريجة علم النفس من الجامعة المستنصرية عام 1971، شغلت وظيفة رئيسة تحرير جريدة "الراصد" البغدادية الأسبوعية لأزيد من عشر سنوات. غادرت بغداد منذ 1982، وتنقلت بين عواصم ومدن شتى. أصدرت عام 1973 مجموعة قصصية بعنوان "افتتاحية للضحك"، ومنها توالى أعمالها الأدبية: ثمان روايات ترجمت بعضها إلى الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والإسبانية، أشهرها رواية "نفتالين" التي ترجمت إلى سبع لغات، ودُرست لمدة سنتين في جامعة السوربون.

مقطع من رواية "التانكي"

كلاكيث أول مرّة

الأستاذ صميم مجهول النّسب

كما في صور الألبومات العتيقة، فكّرنا جميعاً: نحن الموقّعين أدناه، عائلة أيّوب آل الذين سيظهرون بالتدريج معنا، بجوارنا، بعدنا بقليل، أمامنا، أو أبعد قليلاً. من المفيد أن ندع الوالدة مكّيّة جالسة على كرسي، فهي غير قادرة على الوقوف طويلاً حتّى لو أن الأمر لأجل التقاط صورة. بجوارها الخالة فتحية، بعدها الخالة الأصغر سنية. الوالدة بيبي فاطم مكانها غير موجود بيننا، بقيت في الطابق الأعلى. حسناً، من المفضّل ولأجل الهيبة أن نقف وراءهم، نحن الرجال. أنا الوالد أيّوب، وبجوارني أخي مختار. هنا يستحسن أن نترك مكاناً لهلال، ولدنا البكر، ولها، ابنتنا عفاف التي أوكلنا شؤون قضيتها إلى الأستاذ صميم. هيّا، يا أخي، خذ عني المهمّة، ودعني أعود إلى مكاني في الألبوم. حسناً، ظهر طيف الأنسة عفاف وأنا أكتب اسمك فقط:

عزيزي الدكتور كارل فالينو،

أنا صميم، كاتب سريّ أشتغل باسم حرّكي. هو الرجل ذاته الذي قدم معنا في العام 1986 إلى عيادتكَ الخاصّة الكائنة في شارع جاسمان في الحيّ السادس عشر. أمل أن لا تحبطك الذاكرة، وهي، الأنسة عفاف، كانت تتقدّم ببنيته الرشيقة والقصيرة، ويدها لوحة مربعة من لوحاتها، لكي تقدّمها إليك بدون كلام. وطرب زوجتي، النّحاتة، صديقتها وزميلتها في الأكاديمية. ومعاذ الألوسي، صاحبني ومرشدها الهندسي، المعمار، الذي شغفت بتصميمه المبدئي لـ - المكعب - فسجّلت في كُليّة الهندسة، وداومت لعامين، ثمّ غيرت مسارها بالانتقال إلى أكاديمية الفنون الجميلة الكائنة في الوزيرية. هذا معاذ، من الجائز أفسدها حين قال لها في أحد الأيام:

سنصمّم - المكعب - معاً، وندعو منْ نغرم بهم إليه.

ربّما، من مسار المكعب ذاك والفنون عامّة، وسياق مدينتنا كلها، كانت
الآنسة، وأنا أصرّ على هذا اللقب قبل اسمها، في الوقت الحاضر واضعاً
الأشواق، أو أيّ شيء قريب منها، في أوّل الخطاب.

ثمّ المحامي مختار، عمّها الذي قد يرشدنا إلى بعض الحيثيات القانونية
والاستشارات الإدارية التي قد نجد بعض العزاء في أرشيها.

وهلال شقيقها الذي ما زلنا نخاطبه ونستعجله بالرسائل، لكنه لا يردّ
علينا حتّى الآن، مَنْ يدرى؟ من الجائز وفي الساعات الأخيرة وقبل إقفال
الستارة عن آخر وجه من وجوهنا يظهر وينضمّ إلى هذه المخطوطة، أو سمّها
ما تشاء. معاذ يقول، إن يونس تغيّرت ابتسامته في الفترة الأخيرة، وصارت
محيّرة، وسأله إن كان يفكر بالانضمام إلينا، فبمقدوره أن يخبر عمّا يعتمل
في داخله. أضاف معاذ، ستكتسب هذه التدوينات أهميّة خاصّة، وستأخذ
مكانها حتّى لو بعد حين. ولو كنّا نعرف عنوان السيّد ياسين، لأرسلنا في
طلبه، وجعلناه ينضمّ إلينا.. كما سنزوّدك ببعض الهوامش والإضافات،
وأشياء لا نعرف عنواناً لها. كما قد تستهوي خطاباتنا الخالة فتحية، ويظهر
صوتها للعلن.. سنتدبّر الأمر، أمرنا. وأنت، سيّدي الحكيم، ستحوّل بدورك من
محتكر لبعض، أو الحقيقة كلها، إلى قولها لنا، لأفراد عائلتها التي تنتظر منّا
البحث عنها قبل فوات الأوان. حضرتك مَنْ سيطلب منك بالمصادقة على جميع
ما تعلمه وتعرفه، ما سمعته، ما تناهى إليك بالمصادفة أو تعمداً، فنقرّ
بالفاعل: أنتم أم نحن، وكل واحد منّا يحيل قصصه في إثرها، متورّعاً من
زعزعة يقينه بالبراءة المخادعة. بالطبع، نحن نعرف بعض الحقب، وماذا
أنجزت وحفرت فينا، وستفتح علينا وعليكم، ومن الجبهات والأمكنة جميعها،
الانتقادات والشروع بخيانة الأصول في حالة، حالات الترجمة المؤقّته أو
النهائية للوقائع السريّة والعلنية جميعها.. ستلاحظ ذلك، سيّدي. أثارنا
جميعاً، ونحن نباغت أنفسنا قبلك، فقد كنّا نفضّل بقاء الأسرار خفية في ما
بيننا، أمّا اليوم، فسنجد مشقّة وبعض الخطر، كلّ من جهته، ونحن نضعها بين
يديك وأيدينا. أثارنا هي، كلنا، وما تبقى منها بين أيدينا، وعلى ثيابنا، وقبل
أيّ شيء آخر، فكرنا، ربّما، هذه هي الطريقة الوحيدة التي نستعيد الاتّصال
بها، أو نستعيدها شخصياً، إذا تمّ إلقاء القبض علينا من بعضنا لأنفسنا،
لسجلنا العدلي واللّغويّ والفكريّ والدنيويّ والفنيّ والجنسيّ والسّياسي. فكرنا
لو استعدنا أنفسنا، نحن المشرفين على الغرق؛ فقد يراودها كما يراودنا الحلم

يوماً بالظهور أمامنا، دون توقُّع أو انتظار. ياه، كم فُكِّرنا بحفظ بعض الأسرار، وإفشاء البعض الآخر، كلِّ واحد منَّا وما يمليه الظرف من اعتبارات. معاذ، أوكلَ لي خطةً تدوين هذه المخطوطة مردِّداً بصوت ودود: نعم، خطُّك واضح قوي، وحروفك تامَّة التكوين. وهذا أمر يجعل القراءة سيرة من أجل الترجمة. أنا سأزودك بقصاصات ورق، ربِّما مطبوعة أو بخطِّي الركيك.

وطرب!

ما زالت متردِّدة. هي متحفظة على إفشاء الأسرار كلها قائلة: بعضنا يختلقها، ويثقل نفسه بها، لكي يبدو صاحب أبهة، والبعض ينقلها إلى عالم الفنون والآداب، فتأخذ مسارات غير متوقَّعة.

العَمَّ مختار هو الذي دعم جهودنا بطريقته غير المبالية التي تحبُّها الأنسة، فأدخلته معنا. هو الذي لا يجيد المحادثة كما يجب، ومخمور كما تحبُّ أن تراه، فمن الجائز إذا اشتغل في أدوات عمل جديدة، فلن يصبح هناك أيُّ عائق أمام نفسه، فسيتخلَّص لسانه من التأتأة، وتغدو روايته الموازية عنها تجاوزاً لروايتنا. ربِّما عائلة أيُّوب آل لا تُفضِّل هذه الأنواع كلها من المسارات السردية، فهذا قد يحاصر خطوات البحث عنها، وربِّما العكس، لا نعلم دكتور. العائلة تريد أمراً عاجلاً واحداً، مردِّدة من فوق رؤوسنا جميعاً: هيا، ابدووا رواية القصة حالاً. ابحثوا عن ابنتنا، فوقت اختفائها لا يقاس بدورة الصبا والشباب، ولا بدوام الصِّحة وتوهم المرض .. هيا، قوموا بالغناء مثلها أو الهمس مثلنا، وليردِّد الصدى ويصل بلاد الفرنج المشؤومة التي ضللت ابنتنا. هيا، انتقلوا إلى المكان نفسه .. ها، هل بدأتُم تشاهدونها؟ هي ابنتنا نفسها، أو مجرَّد شخصية داخل صفحات كتاب تنوون تأليفه، ولا يدلُّ عليها، لا تطرحوا أسئلة لا تعثرون على أجوبتها قطُّ، فليس لديكم إلا كلمات وحفنة أصباغ يابسة على لوحات ضاعت بين أصدقائها. لكننا كلنا أدلَّة، أليس كذلك؟ عال، نحن لا يرقى إلينا الشكُّ، فلا تتحاشوا أخذنا في نظر الاعتبار. توقَّفوا عندنا، وتحدَّثوا معنا، توقَّفوا عندكم، أو عند غيركم، نحن لا نعرف خططكم. هل ستفتحون محضراً، كما هي محاضر البوليس؟ أم ستكتفون بالإعلان؟ هل هي فقيدة؟ لماذا تذهبون إلى أراضى الغير، ها؟ مجرَّد صداع في الرأس، رأسها، يقوم بدور القاتل .. هذه ليست مشكلة قانونية كما يردِّد مختار، عمَّها، ونحن، أسرتها، مختلفون على العنوان: هل هي جريمة؟ أم حالة رعب بشكل عامِّ،

تنتقل ما بين العواصم والقازات؟ نحن لم نرَ قطرة دم على ثياب ابنتنا، وهي تغدو خارج مجال نظرنا، لم نرَ ذلك. آه، صارت بعيدة عنَّا جدًّا. نعم، نعم. والخطوط والطُرُقَات إليها مقطوعة منذ زمن بعيد، ليس بسبب الحروب فقط. ونحن نشتاقي إليها، ولا نعرف ماذا نفعل بالشوق؟ وكيف نقوم بإدارته فيما بيننا؟ وأين نضعه؟ وكيف نورِّعه؟ وهل أخذنا حصَّة منه أكثر من الآخر؟ وهل بمقدورنا أن نُؤخِّره أو نستعجله، لكي ننتهي منه مرَّة واحدة؟ لكنه كان يمتصُّ نصف أعمارنا، فلا نعلم إلى أين ذهبت الأعوام؟ وكيف انقضت؟ من الجائز أن يكون الطبيب الأجنبي بصحَّة جيِّدة، وقلبه توفَّق عن الشوق، نحن لا نعرف أسباب ذلك، ربَّما، هو يكسب عيشه لهذا السبب. وأنتم مثله، قلتم: الشوق لا طائل منه، واسترحتم. صحيح، هو من المزعجات، وطبيبكم لا يكلف نفسه عناء البحث عن تشخيص المرض الصحيح: الشوق، نعم، لم يسجِّل في معجم الأمراض، لكنه مرض مميت، وهو فرصتنا الوحيدة الباقية التي تتدفَّق بها دماؤنا. هيَّا، أخبروني، ماذا تفعلون بهذه الأقلام والأوراق والأقذاح والأشربة كلها، وابنتنا تأخَّرت، يا سيِّد صميم؟ ماذا سنفعل بهذه القوافل كلها من المرارة والطريق إليها ليست آمنة، وبعضها مقطوعة، والجميع يعرف الأسباب. ونحن لن نستطيع التمسك بها، وابنتنا لا نعرف كم بلغ سنُّها اليوم؟ ونحن، كل يوم، يزداد شوقنا. ويصير أكثر وطأة من اليوم الأسبق، والذي يليه. لا نعرف كيف تُشاعل هذه الأمور؟ وبمن؟ وكيف يحصل هذا التلازم ما بين الاختفاء والأشواق وقطع الطُرُقَات والحروب؟ ظننتُ أنكم تعرفون السبب، وسيكون بمقدوركم إخبارنا، ها .. أنتم تبحثون هنا، الطُرُق إليها مقطوعة، وهناك، لا يُرجى الشفاء، وإنَّ، من سيقوم بالبحث عنها؟ لا يجوز التلاعب بنا وعلينا، أو التملُّق والنفاق لهم، ولو تنقلتم وحملتم المراجع والمجلِّدات جميعها، وابتغى سواد عيونكم، فلن نعثر لها على أثر وأنتم تشتغلون بهذه الطريقة الباردة، فهذا لن يعيدها إلينا، وربَّما إليكم. ألم تدركوا أنها تركتكم جميعاً قبل أن تُقطع الطُرُقَات؟! تركت طرب ويونس وياسين، وأنت، سيِّد صميم، وذلك المهندس الذي كان يعتبرها أمينة سرِّه، فعافته وأخذت أسراره معها.

ونحن الخالات: نعم، أنا الخالة فتحية التي استفحل مرضي وأنا أصوغ الجمل البسيطة التي كانت تحبُّها، علَّها تعود، فصرتُ أحادثها يوميًّا، وأنادي عليها كما تبدأ القصص عادة وحسب ما نشاء. نقدر أن نُوقف البنت هنا، ونُقَرِّب الكاميرا من كل وجه من وجوه العائلة، ذكَّرتني، يا سيِّد صميم، فيما إذا

نسيتُ واحداً منّا. سيبتسم طبيبكم قليلاً، فهي كانت الأصغر سنّاً بين العائلة يوم انتقلنا إلى شارع التانكي .. نعم، أنا التي قسمتُ اسمها إلى قسمين، فما إن أرفع رأسي وأراها أمامي، أعود وأناديها:

عفو، نظفي المنفضة زين، يمكن تمرّ علينا واحدة من الخانمات والخواتين. هنا الجيران مو مثل أهل السفينة. عملتُ استطلاعاتي على أصحاب الشارع وأعيانه، وسجّلتُ كل شيء في مفكّرتي، يا نور عيني. وأوّل ما استقرّت الأحوال في السكن الجديد، أمسكتُها من يدها، وقلتُ لها:

هيا، امشي نكتشف الطُرق والفيلات والقصور العجيبة هنا. امشي، وخزّني في رأسك ألوان السماء وطين الأرض ورائحة الرارنج، وهو ينفلع على الشجرة .. شمّي يا عفو زين، وبعدين اجلسي ولوّني وارسمي.

صحيح، يا سيّد صميم، كانت عفو لا تستجيب لندائي، فأكزّر، ويرتفع صوتي، وأمط لساني شوية، لكي أمازحها هكذا:

عفووووو....

لا تجيب، فهي تدري ماذا أريد. أكلّم نفسي وهي واقفة ورائي:

يالاً عيني، ارسمي صورهم كلهم. أني حَصرتهم لك بأشكالهم وثيابهم، بالفينة والسادرة الفيصيلة (نسبة إلى الملك فيصل الأوّل) والعمامة فوق رؤوس بعضهم الآخر. يلاً، أريد أشوفهم بكامل قيافتهم. خلّي قنادرهم تلمع مثل صلعاتهم، وبدلاتهم جديدة طالعة من يد الخياط حالاً، وياقات قمصانهم ناصعة البياض. زين بنتي. أفكّر لو تسوّين معرض للوزراء العراقيين.. ها عيني. طلّعت التصاوير من كتاب تشكيل الوزارات العراقية، وكبّرتهَا بمكتبة الصباح في أوّل شارع عشرين. تعالي شوفي الشياكة والذوق الطو، الصديري والفيونكا لعبد المحسن السعدون رئيس الوزراء. تعرفين عفو من نظافة الجميع كنتُ أشمّ بعض العطور تطلع من الثياب والشوارب ... ههه. ترى في تلك السنين كانت عندهم عادات لطيفة في المأكّل والملبس وحركات الأيدي والوقوف أمام المصوّر وأخذ الصور. كانوا رجالاً من صدق.

تسكتُ وأنا أردّد اسم التصغير. كانت تتضايق منه وتسكت. هل كان الأمر مزعجاً لها ودون علمي أنا بالذات؟! فهل التصغير أشعرها بشيء من الضآلة؟ هذا هو سوء الفهم الذي يُفسد العلاقات، ربّما على مرّ الأجيال، فأنا كنتُ أعتقد أنّهُ نوع من التّحبّب أو الاستحسان، أليس كذلك، يا سيّد صميم؟ ففي أحد الأيام، أوقفتهَا أمامي، وشرحتُ لها الأمر على الصورة التالية:

لا تصدّقيهم. أمك اختارت لك اسم عفيفة على اسم والدتنا، لكن والدك، صاحب الذوق اللطيف حسم الأمر قائلاً:
لا، عفاف أحلي.

وحين أصفن وأسكت أو أدخن، عفو تطلق صوتها بالغناء، فكانت تشاهدني أتمخّط وأمسح الدموع من عيني، ودائماً يكون الأمر بهذا الشكل وهي تغني ومع أفراد العائلة جميعهم، فيقع على عاتقنا أن نردّد بعض كلمات الاستلطاف والإعجاب، لكننا لا نفعل، حتّى الكلمات العائلية البسيطة والسخيفة لا نقوى على ترديدها أمامها.

أه، من الطبيعي أن نقدّم لها بعض الكلمات شاكرين لها أمراً لا نجد تماماً التعبير عنه، إمّا بالسكوت أو بالدموع، وقد عرفت عفو مبكراً بعض الندوب منذ تلك السنّ الصغيرة، لكنني لا أظنّ أن هذا أثر في حبالها الصوتية، فبعض نوبات الكآبة والقلق الشديد كانت تنتابها، وهلال هو الذي يخبرنا بها، وفي بعض الأحيان سنية أو العمّ مختار. فالغناء سخّفه ياسين، ومن الجائز أنها أخبرت طرب، وربّما أخبرتكم جميعاً.

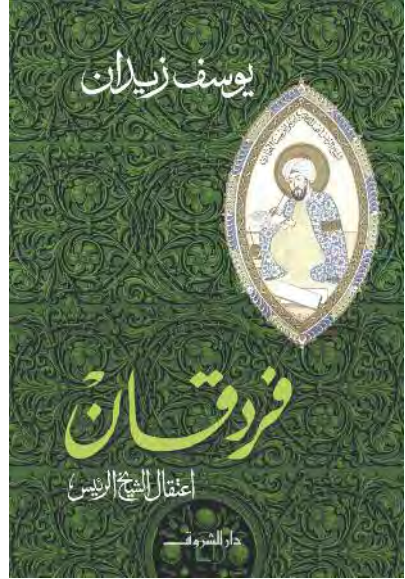
كنت أضعها وأدع نفسي، وأردّد: هذه مسووليتي وحدي، أمّا هي، فكانت ترتحل أبعد ممّا سبق، وتبتعد عنّا جميعاً، وهي بيننا .. آني الآن أمامك، يا سيّد صميم، حضرتُ بنفسي إلى بيتكم، هيّا، انظر إليّ، وأنا أرتدي ثيابي التي كانت تُفضّلها: طقم رصاصي مكسّم على جسمي، أزواره الذهبية لا تُقفل، وياقته رفعتها إلى أعلى لإخفاء ترهل جِلدة رقبتني، وسحاب التّنورة لم يصعد كله للأخير، فشكّلتُه بدبوس أبو رأسين. والقندرة ذاتها بكعب متوسط الارتفاع، جلد روغان يلمع، زدته لمعاناً بمسحه بزيت ناشف. والشال، ألا تراه؟ انظر إليه جيّداً، هل تذكره؟ كان ذلك منذ سنين، طرب جلبته من هناك، نعم، هذا منها، أرسلته معك، هل تذكر؟ .. ها، هل تراني مهندمة وبلا عطر فوّاح، إلا عرقي الخفيف، والحقيبة العتيقة تحت إبطي، وأنا أمامك كما كنتَ نذهب، نحن أفراد العائلة جميعهم، لأخذ العزاء وعمل الواجب .. أنا حاضرة باسم الجميع، ومن الجائز ستري من وقت لآخر سنية تمدّ رأسها وتقول لك: مساء الخير، أستاذ صميم، هل تريد أحداً يصحّح لك المشاعر؟ هل وصلت للحديث عن الأحزان؟ هيّا، ناديني في أيّ وقت تشاء. وأمها مكّية، كانت تحضّر لكم ولنا ألذّ اللواتم، وبلا منة: علّ جوع المأكّل يوازي الجوع إليها. وهلال أخوها، والعمّ مختار، أبوها أيّوب . كلنا، الرجال والنساء، وسكان هذا الحيّ والشارع .. يا ويلي عليّ

فردقان - اعتقال الشيخ الرئيس

يوسف زيدان

ملخص الرواية:

تقدم لنا هذه الرواية سيرة ابن سينا، "الشيخ الرئيس" والعلامة العبقرى الذي شهدت له الحضارة الإنسانية خلال الألف سنة الأخيرة. تأخذ القارئ في رحلة شيقة تبدأ بمولد ابن سينا في قرية كانت تقع قرب بخارى، المدينة الأوزبكية العتيقة، حتى وفاته في بلاد الفرس، بعد حياة حافلة بالأحداث الكبرى. بعدما تولى ابن سينا الوزارة مرتين، تم اعتقاله في قلعة "فردقان" النائية وهناك كتب بعض أعماله الفلسفية.



الناشر: دار الشروق، 2018

العنوان: 7 شارع سيبيويه المصرى،

مدينة نصر - القاهرة، مصر

البريد الإلكتروني: dar@shrouk.com

الترقيم الدولي: 978-977-09-3515-6

حقوق الترجمة العالمية: المؤلف



يوسف زيدان روائي مصري من مواليد 1958، وهو أديب ومثقف متخصص بالدراسات العربية والإسلامية. صدر له حتى الآن أكثر من ستين كتابا ونالت أعماله جوائز دولية عديدة. فازت روايته الأشهر "عزازيل" (2008) بالجائزة العالمية للرواية العربية عام 2009 وترجمت إلى 16 لغة. حازت نسخة "عزازيل" الإنجليزية بجائزة أنوبي للكتاب الأول عام 2012 (التي يمنحها مهرجان إدنبره لأفضل رواية مترجمة للمرة الأولى إلى اللغة الإنجليزية)، وجائزة سيف غباش-بانيبال للأدب المترجم عام 2013. صدر له سبع روايات: "ظل الأفعى" (2008)، "عزازيل" (2008) "النبطي" (2010)، "محال" (2012)، "جوانتنامو" (2014)، "نور" (2016) و«فردقان» (2018).

مقطع من رواية

”فردقان - اعتقال الشيخ الرئيس“

عبّ ابن سينا كأسه دفعةً، وراح يقلبه بين أصابعه وهو ذاهلُ النظرة غارقٌ في غمار الأسى. إذ استعاد ذكرى المأساة التي وقعت في شهر شوال قبل خمس سنوات، بوسط صحراوات ”قره قورم“ القاسية، الشاسعة، الفاجعة. ففي الظهيرة التي سبقت يوم المأساة هذا، استدعى الأمير مأمون بن المأمون الملقب بخوارزمشاه، على عجلٍ، جميع العلماء الذين كانوا يعيشون في رعايته بعاصمةٍ ملكه. ولم يفصح لهم عن سبب دعوتهم لذلك الاجتماع الذي تمَّ عصر يوم الخميس، مع أنه أحد اليومين اللذين لا ينعقد فيهما المجلس العلمي بحضرة الأمير. تساءل جميعهم عن السبب الداعي إلى العجلة، وإلى الإصرار الأميري على حضورهم كلهم، وعدم إرجاء الأمر إلى موعدهم المعتاد ليلة السبت.

ظن بعضهم أن الأمير سوف يعلن لهم عن اختياره لأبي الريحان البيروني، وزيرًا له. فقد كانت هناك عدة شواهد ترجّح ذلك، منها أن الأمير كان قبل شهر قد أسكن البيروني بقصره، تقديراً له، ومنها أنه طلب من أبي الريحان قياس محيط الأرض وحساب خطوط الطول والعرض، بدقة، فوجد البيروني سبباً لذلك وأوجد المعادلة التي يستطيع عن طريقها إنجاز هذا العمل. كما أن الأمير كان فخورًا جدًا بالكتابين اللذين انتهى منهما البيروني مؤخرًا، وهما: التفهيم لأوائل صناعة التنجيم (في علم النجوم وحركة الأفلاك) وكتاب: تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن.. بالإضافة إلى ما يعلمه المقربون من الأمير من ضيقه بتدخل قواد العسكر في شؤون الحكم واختلافهم مع وزيره الحكيم ”أبي الحسين السهلي“ الذي تقدّم به العمر فما عاد قادرًا على الوفاء بعمله واحتمال أوزار الوزارة.. ناهيك عن نقمة الجند الخوارزمية على الأمير، واتهامهم له بالخنوع أمام صهره الغزنوي ”محمود بن سُبُك تكين“ والخضوع التام.

اجتمع بالمجلس الأميري العلماء الكبار، الأربعون، وجلسوا بحسب الترتيب المعتاد. وكان وجه أبي الريحان البيروني حائل اللون تصبغه الصُفرة، كأنه أصيب فجأةً باليرقان، فزاد ذلك من حيرتهم. وبلغت الحيرة مداها، حين دخل الأمير متجهّمًا وفي يده مطوية، ولم يلق عليهم سلامه المعتاد. نظر الأمير في الورقة المطوية، ودون أن يُطيل في التقديم للأمر أو التمهيد له، قال: ورد إليّ اليوم

هذا الكتاب من السلطان محمود الغزنوي، يأمر فيه بترحيلكم فوراً إلى عاصمته "غزنة" من دون إبطاء أو تأخير أو تعلُّل بأي عذر، فهو يريد أن يتباهى بوجودكم في قصره..

بوغت الحاضرون وعلت الهممات، فقطعها الأميرُ وهو يقول بلسان رجلٍ يجتهد لإخفاء الخجل: الأمر متروكٌ لكم، لتقرير ما يناسبكم، ولن أُجبر أحدًا منكم على أمرٍ، فتدبُّروا.. سكت الجميع لحظةً، ثم كان ابن سينا أول المتحدثين وقد اكتسى صوته بغضبٍ كظيم، وهو يقول للأمير: لا والله.. لن أَرْضَى لنفسي الذهاب إلى هناك، لتسليّة السلطان في الأمسيات، فهذا عمل القيان والمغنيات والراقصات، ولا يليق أبداً بالعلماء.

- يا بو عليّ. أنت حكيم مرموق، وكذلك أصحابك هؤلاء جميعهم. وهو يريد أن يفتخر بين الحكام بوجود مثلكم في حاشيته، وبأن قصره يزدان بكم.

- لا يا سيدي الأمير المبجل. سلطانُ غزنة هذا، لم يُعرف عنه اهتمامٌ بالعلم ولا العلماء، بل اشتهر عنه قتل مخالفيه. وعليه أن يبحث عن غيري ليتباهى به ويفتخر، فلا أريد أن أصير زينةً للقصور.

- اسمع يا ابن سينا.. إنني مدركٌ أنك لم تسامحه على هدم دولة السامانيين وتخریب بخارى، بلدتك المحبوبة، وضمها إلى مملكته الواسعة..

- اسمح لي يا سيدي الأمير، سامحني على مقاطعتك واعدرتني فيما سأقول، أو.. لن أقول شيئاً، ولن أخرجك يا سيدي مع صهرك، وسأرحل عن هنا في أقرب وقت.

- أين ستذهب؟

- لا أعرف يا سيدي. حقاً وصدقاً، لا أعرف. لكن الأرض واسعة، وفضل الله

عميم.

- لك ذلك يا بو عليّ، وما قول الأستاذ أبي الريحان.. وما رأي البقية منكم. قال البيروني بلسانٍ يضطرب: لا أدري يا مولاي، فالسلطان محمود الغزنوي لا يعتد بالعلوم التي اشتغل بها، بل يرى الرياضيات والفلك وتواريخ الأمم القديمة، ليست علومًا نافعة مثل علوم الدين التي يحتفي بها.. ومقاطعاً له، قال أبو سهل المسيحي: هو لا يحتفي بعلوم الدين بعامة، وإنما بالمذهب السني الذي صار مؤخرًا يرفع رايته، إرضاءً مؤقتاً للخليفة العباسي، ونكايةً في حكم البويهيين ذوي النزعة الشيعية. وهو لا يعترف بغير الإسلام السني الأشعري ديناً، فماذا سيفعل بمثلي وأنا رجلٌ مسيحي واشتغل مع الطب بالفلسفة وعلوم الحكمة، التي يظنها قرين الكفر.

وفي قلب المجلس، غمغم العلامة "منصور بن عراق" بصوت خفيض، فلم يفهم

من كلامه إلا تكراره عبارة: أرى الويل آتٍ، أرى الويل آتٍ.. وتصاعد الجدلُ فاصطخب الجمعُ واضطرب مجلسهم على نحوٍ غير معهود، وبدا الهلعُ على العلماء المعروفين بميلهم لمذهب المعتزلة، والمشهورين بالتشيع، وهم كثرة. وفي غمرة ذلك، ظل الأمير واثماً ينقل عينيه بين وجوه الحاضرين الذين قامت قيامتهم قبل موعدها، ولما بلغ به الحرجُ غايته، قام فجأةً وانصرف من المجلس وهو يجرُّ خلفه أذيال شعوره بالعار.. فقد أدرك أن دنياه قد آلت إلى الزوال.

في منتصف تلك الليلة الليلية، كان ابن سينا جالساً في غرفة نومه يغمره الغيظ ويقلقه السهاد، حين جاءه أحدُ خدامه وأخبره بأن "أبا سهل المسيحي" يدق الباب.. خرج إليه ابن سينا فوجده في حالةٍ مزرية، قلباً وقالباً، فسأله: ماذا جرى يا أبا سهل، ولماذا ترتجف؟ أدخل يا أخي، ما الذي وراءك؟

– بلغتني الآن أخبارٌ.

– اجلس هنا، وأهدأ.. أية أخبارٍ تقصد؟

وهو يهتز كالمحموم، همس "أبو سهل" في أذن ابن سينا بأن رجلاً فاضلاً من طائفته النسطورية، جاءه قبل قليل وأخبره بأن جماعة كبيرة من الجند ينوون اقتحام قصر الأمير فجراً، وهم يريدون قتله.. ارتاع ابن سينا، وتقوَّس حاجباه وهو يسأله متلهفاً: وكيف عرف هذا الرجل بذلك؟.. فما كاد يتم سؤاله حتى أجابه أبو سهل بالعبارة القاطعة: هو من قدامى البصاصين، وأنا أعرفه جيداً، وأثق به. تحيّر ابن سينا لحظةً، وازدادت حيرته حين سأله "أبو سهل" إن كان في بيته خادمٌ أعرج اسمه وردان! فاستغرب ابن سينا وارتفع حاجباه وهو يقول: نعم، ولكن كيف عرفت بذلك؟.. فأخبره "أبو سهل" بأن هذا الخادم، مدسوسٌ عليه من جواسيس ابن سُبُك. هو يسمى محمود الغزنوي بهذا الاسم، سخريّةً منه.. وأضاف بصوتٍ أخفض، أن قريبه أبلغه بأن الذين استمالوا إليهم هذا الخادم، وعدوه بأنهم سوف يعطونه مالاً إذا أعلمهم من فوره بهروب ابن سينا من البلدة، حسبما يتوقَّعون.

– ثم ماذا؟

– ثم يخرجون خلفك ويعتقلونك ويرسلونك في الأصفاد إلى غزنة.

– لماذا؟

– ليقتلك ابن سُبُك، صبراً، في سجنه.. لأنه مغتاز منك من أيام بخارى، وهو متيقن من أنك أحد دعاة المذهب الشيعي الإسماعيلي.

– لكنني لم أَدع يوماً لأي مذهب عقائدي، وأنت تعلم هذا جيداً.

– لا أهمية لما أعلمه، المهم ما يظنه هؤلاء. وما سوف يفعلونه بك، وبني. وسوف

يُبلغون "ابن سُبُك" بما تجرأت به عليه اليوم في مجلسنا، فقد علموا به وتزايد حنقهم عليك.

هزَّ ابن سينا رأسه أسفًا وهو يقول باللغة العربية، الآية القرآنية ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع﴾ وقد تأكَّد عنده ما أخبر به "أبو سهل" عن الخادم المدعو "وردان" حين تذكر لحظتها أنه لمحّه قبل أيام يتسلل من المنزل ليلاً، ويعود قبيل الفجر. ولما سأله ابن سينا عن ذلك، أجاب الخائن "وردان" بأنه يرضى أيتامًا في طرف البلدة، ومرتزوج سراً من أمهم الأرملة! كان تبريره غريبًا، وحاله مريبًا.. فكيف صدَّقه "ابن سينا" واستنام عنه في غمرة الغفلة؟

«ابد أن نرحل عن هنا، قبل بزوغ الفجر.. همس أبو سهل بذلك وهو يرتجف، مجددًا، فأخذ ابن سينا إلى غرفته وأيقظ في طريقه خادمًا مخلصًا يعمل بمنزله منذ سنوات، اسمه قنبر.. في الغرفة أخرج "ابن سينا" رقوق عبودية ممالئكه الثلاثة، والأمة المسنة التي كات تعد الطعام، وكتب خلف كل صكٍّ من الأربعة شهادةً بعثق صاحبه وذيلها بختمه، وأشهد عليها أبا سهل المسيحي. وأخذ من صرة النقود عشرين دينا، وأعطاهما هي والصكوك لخادمه المندمى مما يجري، وقال له: هذا يا "قنبر" آخر ما سأطلبه منك. سأرحل الآن، ولا تخبر أحدًا بذلك. وخذ من هذه سبعة دنانير لك، وبعد يومين اعط الباقيين دينارين لكل واحد منهم، وشهادة عتقه. ولا تسمح لوردان الأعرج بالخروج من هنا أو اللقاء بأي شخص خلال هذين اليومين، ولو لزم الأمر احبسه مقيدًا.

– هو خائن يا سيد، صحّ؟

– نعم يا قنبر، ومدسوسٌ عليّ.

– كنت أشكُّ في ذلك. الحقير. هل تحب أن أقتله بجريته هذه، وأدفنه خلف

المنزل؟

– لا، لسنا قتلة. وأرواح الناس ليست ملكنا، نزهقها وقتما نشاء.

بعدهما خرج "قنبر" وقف ابن سينا لحظةً متحيرًا في وسط الغرفة، ثم سأل أبا سهل إن كان يحتاج المرور على بيته، قبل الرحيل. فقال: لا، ليس لي فيه ولدٌ ولا مال، وقد حذرني صاحبي من الذهاب إلى هناك، لأنهم يترصدونني مثلما يترصدونك.

مُستترين بعتمة الليل والرياح الصيفية الغبراء، خرجا من الباب الخلفي للمنزل قبل الفجر بساعة، وعليهما ثياب رثة، وفوق رأسيهما عمامتان متهزَّتان. وفي يد كل منهما وحول عنقه، مسبحةٌ طويلة. فصارت لهما هيئةً المجذوبين من المتصوفة، المعروفين بين الناس باسم القلندرية. وعلى تلك الهيئة حنًا خطي

نحو الشرق مسرعين، حتى بلغا المرفأ الذي على ضفة نهر "جیحون" الكبير، المسمى اليوم أموداريا.. لم يخبر ابن سينا "أبا سهل" بخطة الفرار من قدر الله إلى قدر الله، ولم يسأله "أبو سهل" إلا بعد ساعتين من إبحارهما بالقارب شمالاً، إذ استعلنت شمسُ النهار الحارقة واستفاق رأسُ "أبي سهل" من خطفات الوسن، بعد طول ترنُّح سألَه همساً وهما منزويان بطرف القارب: لماذا نتجه شمالاً يا بوعلي؟

- لأنهم يتوقعون ذهابنا غرباً.

- صح، هذا تدبيرٌ حكيمٌ منك. ولكن، ماذا بعد؟

- عند الظهر، نكون قد ابتعدنا بما يكفي، فنعبر صحراء "قره قورم" حتى نصل إلى شاطئِ بحر قزوين، ومن هناك نبحر جنوباً في قارب، ثم نسلك الدروب التي بين جبال "البُزُز" حتى نصل إلى "الري" ونكون بأمان هناك، في كنف البويهيين. - طيب. لكن عبور هذه الصحراء القاحلة، يحتاج الركوب يومين أو ثلاثة. فليكن الربُّ معنا، ويبعد عنا قُطاع الطريق.

قرب قريةٍ نائيةٍ بالضفة الغربية من النهر نزلاً من القارب، ومن خادم كنيسةٍ صغيرةٍ بطرف القرية، اشترى ابن سينا حمارين هزيلين وما يلزم من الزاد والماء، ومضيا في سبيلهما غرباً من دون إبطاء.. امتدادُ الصحراء المقفرة مهيبٌ مقلقٌ، والمحتملُ من الأخطار فيها كثير. لكن غير المحتمل، كان ما وجداه في صبيحة اليوم الصحراوي الثاني، فبعدما عبر عليهما اليوم الأول بسلامٍ ومشقةٍ تُطاق، أوقدا في الليل نازاً بين جدران بيتٍ متهدم، وأسعدهما أن الرياح اشتدت وتزايد صوت صريرها، والهزيم، مما يضمن لهما خلُوً النواحي من الذئب الهائمة وقطاع الطريق.. فجأةً، أخذ "أبو سهل" يتغنَّى بترنيمَةٍ كنسيةٍ كئيبةٍ الإيقاع، سريانيةٍ اللغة، وهو يشخص ببصره نحو النجوم التي توارت خلف الغبار المتطاير بفعل الرياح. وبعد حينٍ توقف عن الغناء بغتةً وقال بنبرةٍ مستسلمة، إنه يشعر بأنهما لن يصلا إلى الري!

أدرك ابن سينا أن الإجهاد والقلق، قد بلغا بصاحبه الحدَّ الذي يحلو معه للعقل أن يطيش، فأخرجه مما يعصف ببدنه النحيل المكدود المهدود، وبرأسه، بسؤاله: أخبرني يا أبا سهل، هل دفعت برسالتك الأخيرة في "الوباء وفساد الهواء" إلى الوراقين لنسخها؟.. ضحك أبو سهل ضحكةً متشنجةً، تدل على أنه أدرك المغزى من السؤال. ولم يجب. سكت ابن سينا لحظةً ثم عاد وسأله ليؤانسّه بالحديث، عما يحضر بخاطره الآن من القصائد والأشعار. فأنشده "أبو سهل" من فوره، بالعربية، قول أبي تمام: السيفُ أصدقُ إنباءٍ من الكتب.. ولم يكمل البيت، وأخذه

الضحكُ الممزوج بالنشيج، حتى دمعت عيناه من فرط إحساسه بالتعاسة.
أطل عليهما الفجرُ الذي لا يشبه الفجر، فكان شديد الوطأة، مليئًا بالمتطائر
حولهما من الغبار.. تردداً حيناً بين استكمال الطريق، أو البقاء في حماية الجدران
المتهدمة. ولما هدأت الرياح لوهلةً أسرعاً بالرحيل مستبشرين، ولم يعرفا أن القدر
يتربص بهما.

وسط صحراء لا مأوى فيها ولا مكان للاختباء، اشتدت عند الظهرية الرياحُ
وتراقصت في الأفق أعمدة الأعاصير، ثم ما لبثت الرياح أن اعتراها الجنونُ
فعضفت بالأرض وعربدت، حتى حجبت السماء عن الأرض تماماً. ما عادت
قوائم الحمارين قادرة على الحمل أو المسير. وفور نزولهما عن ظهريهما
أصابهما الخبلُ والفرع، فانفلتا وأطلقا مع الرياح السيقان حتى غابا عن النظر في
غمرة الغبار.. خلع ابن سينا جلبابه وربط الكُمين فجعله كمنذنة من قماش،
ليحتمي به من هجمة العاصفة الهوجاء، وفعل لأبي سهل الشيء ذاته. ولكن
هيئات. فالأحجار الراجمة القادمة مع غمرات الغبار، لا يصدها رداءً، وسرعان
ما طارت عنهما المُنذنتان. حاول ابن سينا حماية وجه أبي سهل الذي هبط إلى
الأرض وقد أخذ الخنَّاق واعترتة الرجفة، فجلس إلى جواره محاولاً أن يحجب
عنه التراب بما تبقى من ثوبه المتهرئ، لكن ذلك لم يجد نفعاً.. فقد تزايدت عريضةُ
العواصف وعلا هزيمها، وراحت الرياح ترمي بالحصى والأحجار التي تكنسها من
فوق الأرض ثم ترسلها في الهواء كالسهام. متكوِّماً أحاط ابن سينا بذراعيه
صاحبه وأستاذاه المسكين، وشعر بارتجاف بدنه النحيل قبل أن يأخذه منه
الإغماء، فأخذ يناديه بصوتٍ غير مسموع: يا أبا سهل اصبر، اصبر يا أبا سهل..

بعد عدة رعداتٍ مات أبو سهل المسيحي، ودرجت الرياحُ جثته حتى طمرتها
الرمالُ وابتلعتهما الصحراء.. وحين أفاق ابن سينا من الإغماء الذي غلبه وغيبه
ساعاتٍ طوال، وجد نفسه وحيداً وسط السكون، ووجد بوجهه الذي رجمته بالأمس
الريحُ بالأحجار والحصوات، خيوط دماءٍ مخلوطة بالغبار.. دار في الأنحاء
المحيطة مترنِّح الخطي، متهرئ الأسمال، حتى وجد كومة من الرمل. وحين لمح
تحتها جثة صاحبه المسكين، سحَّت عيناه بسيل من دموع وراح يصيح في فراغ
الصحراء وهو ينظر إلى السماء:

يا أله

يا أله،

ألهذا العذاب خلقتنا

يا أله.. رُدَّ علي!



الجائزة العالمية للرواية العربية
INTERNATIONAL PRIZE FOR ARABIC FICTION

لجنة التحكيم 2020

د. محسن جاسم الموسوي (رئيس اللجنة)

أستاذًا الدراسات العربية والمقارنة في جامعة كولمبيا، نيويورك. وكان قد عمل أستاذًا من قبل في الجامعة الأمريكية في الشارقة، وفي جامعة تونس الأولى، وجامعة صنعاء، وعمّان الأهمية، وبغداد. كما شغل إدارة آفاق عربية والشؤون الثقافية طيلة الثمانينات في العراق. ويرأس منذ 2002 رئاسة تحرير مجلة الأدب العربي (الصادرة عن Brill بالإنجليزية)؛ وحاز على جائزة العويس في النقد الأدبي 2002، وجائزة الكويت في اللغة العربية وأدائها سنة 2018. نشر 28 كتابًا باللغتين العربية والإنجليزية. له بالعربية: "عصر الرواية" (1986)، "الرواية العربية: النشأة والتحول" (1987)، "نارات شهرزاد: فن السرد العربي الحديث" (1993)، "الاستشراق في الفكر العربي" (1997)، "سرديات العصر العربي الإسلامي في الوسيط" (1997)، "أنفراط العقد المقدس: الرواية العربية بعد محفوظ" (1999)، "مجتمع ألف ليلة وليلة" (2000)، "النظرية والنقد الثقافي" (2005)، و«الذاكرة الشعبية لمجتمعات ألف ليلة وليلة» (2016). وله بالإنجليزية: "شهرزاد في انكلترا" (1981، ترجم إلى العربية)، "الرواية العربية ما بعد الكولونيالية" (2003)، مسارات القصيدة العربية" (2006)، "صراع الثقافة والسلطة" (2017، ترجم إلى العربية)، وغيرها..

بيار أبي صعب: صحافي وناقد لبناني من مواليد بيروت، 1961. اشتغل على رصد الحركة الإبداعية وأشكال التعبير الثقافي في لبنان والعالم العربي، مغرباً ومشرقاً، منذ منتصف السبعينيات. عمل ناقدًا أدبيًا وفنيًا، بين باريس ولندن وبيروت، في صحف ودوريات أبرزها: "السفير" واليوم السابع " و«الحياة». وشارك العام 2006 في تأسيس صحيفة "الأخبار" اللبنانية، محرراً لصفحتها الثقافية. كما شارك في برامج ثقافية على التلفزيون، وكان آخر ما أنجزه سلسلة حوارية وثائقية مع الشاعر أدونيس، عرضتها محطة "الميادين"، وصدر الحوار في كتاب عن دار الآداب في بيروت (2018). يتولى اليوم منصب نائب رئيس تحرير صحيفة "الأخبار" اللبنانية.

أمين الزاوي: روائي من الجزائر يكتب باللغتين العربية والفرنسية، أستاذ الأدب المقارن والفكر المعاصر بجامعة الجزائر المركزية، عمل أستاذا بجامعة باريس قسم الدراسات النسوية، حاصل على عدة جوائز دولية، منها جائزة "الحوار الثقافي" التي يمنحها رئيس الجمهورية الإيطالية عام 2007. تولى منصب المدير العام للمكتبة الوطنية الجزائرية حتى العام 2008. من بعض عناوين أعماله الروائية بالعربية: "سهيل الجسد" (1982)، "شارع إبليس" (2009)، "حادي التيوس" (2012)، التي وصلت إلى القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية (2013)، "نزهة خاطر" (2012)، "الملكة" (2014)، "الساق فوق الساق" (2016)، التي وصلت إلى القائمة الطويلة للجائزة (2018)، "الخلان" (2018) و آخرها "الباش كاتب" (2019). ومن رواياته بالفرنسية التي عرفت نجاحا كبيرا: "الخنوع" (1997)، حارة النساء" (2001)، "وليمة أكاذيب" (2007)، "غرفة العذراء المدنسة" (2009) و«طفل البيضة» (2017). ترجمت رواياته إلى أكثر من 13 لغة.

ريم ماجد: إعلامية وصحفية تلفزيونية ومدربة في مجال الصحافة والإعلام. تخرجت من كلية الإعلام بجامعة القاهرة عام 1995. التحقت في نفس العام للعمل بقناة النيل الدولية كمراسلة ورئيسة تحرير ومقدمة برامج حوارية ونشرت إخبارية. في عام 2006، اتجهت للعمل في مجال الأفلام الوثائقية كمرجعة ومنتجة فنية حتى التحقت بالعمل في قناة أون تي في، عام 2008 كمقدمة برامج حوارية ثم مديرة لأكاديمية أونأ للتدريب الإعلامي ما بين عامي 2015 و2017.

فيكتوريا زاريتوفسكايا: أكاديمية وباحثة ومترجمة من مواليد موسكو عام 1979. حصلت على الدكتوراه في التربية والتعليم من الجامعة الروسية للصدّاقة بين الشعوب (موسكو)، عام 2008. نقلت أعمالا عديدة من الأدب العربي الحديث إلى اللغة الروسية، من بينها أعمال لنجيب محفوظ، منها رواية "أولاد حارتنا" و«رحلة ابن فطومة»، ورواية "عمارة يعقوبيان" و«شيكاجو» لعلاء الأسواني، ورواية "فرانكشتاين في بغداد" لأحمد سعداوي، وهي أكاديمية تبحث في طرق تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وتهتم منشوراتها التي تربو على خمسين عملا، موزعة بين كتاب ومقال علمي، بمسائل النحو المقارن والتحليل الدلالي لمفردات اللغة العربية، لها كتب دراسية لمتعلمي اللغة العربية تستخدم في تدريس الترجمة في الجامعات الروسية، تدرس اللغة العربية في كلية الإنسانيات في الجامعة الروسية للصدّاقة بين الشعوب (موسكو).

المترجمون

پاولا حيدر: أستاذ مساعد في اللغة العربية في قسم اللغات والآداب والثقافات العالمية بجامعة أركنساس بالولايات المتحدة الأمريكية. تشمل ترجماتها تسع روايات لكتاب لبنانيين معاصرين: ثلاث روايات للكاتب إلياس خوري وهي "أبواب المدينة" (1993)، "رحلة غاندي الصغير" (1994) و«مملكة الغرباء» (1996). وثلاث روايات للكاتب رشيد الضعيف، هي: "ناحية البراءة" (2001) "تصطفل ميريل ستريب" (2007)، و«ليرننغ انغلش» (2007)، وكذلك ثلاث روايات للكاتب جبور الدويهي "مطر حزيران"، (2014) و"الحي الاميركي" (2018). و«طبع في بيروت» (2018) كما ترجمت رواية للكاتبة الفلسطينية سحر خليفة ("نهاية الربيع" 2008)، ورواية "مساس" للكاتبة الفلسطينية عدنية شبلي (2010) ورواية «موسم الحوريات» للكاتب الاردني جمال ناجي عام 2016.

جوناثان رايت: درس اللغة العربية والتركية والتاريخ الإسلامي في كلية سانت جون، جامعة أوكسفورد. عمل صحفياً على طول العالم العربي متنقلاً بين تونس وعمان ولبنان ومصر. كما عمل في الفترة ما بين عامي 2008 و2011 كمدير تحرير لدورية إلكترونية تصدرها الجامعة الأميركية في القاهرة. فاز في شباط/فبراير 2014 بجائزة سيف غباش بانيبال للترجمة الأدبية لترجمته رواية "عزازيل" ليوسف زيدان، كما فاز بنفس الجائزة في العام 2016 عن ترجمته لرواية "ساق البامبو" للكاتب الكويتي سعود السنعوسي.. ترجم جوناثان العديد من الأعمال الأدبية المعاصرة مثل "تاكسي" لخالد الخميسي، "مجنون ساحة الحرية" لحسن بلاسم، «كائن مؤجل» لفهد العتيق، "حيث لا تسقط الأمطار" لأمجد ناصر، "خمارة المعبد" لبهاء عبد المجيد. بالإضافة الى كتاب مقالات لعلاء الأسواني؛ جوناثان رايت هو مترجم رواية الكاتب العراقي أحمد سعداوي "فرانكشتاين في بغداد" التي حصلت على الجائزة العالمية للرواية العربية للعام 2014، ثم دخلت القائمة القصيرة لجائزة بوكر العالمية.

نانسي روبرتس: مترجمة أميركية. ترجمت العديد من الاعمال الادبية العربية الى الانكليزية. منها رواية "البشموري" للكاتبة المصرية سلوى بكر، التي حازت على المرتبة الثانية لجائزة سيف غباش بانيبال للترجمة الادبية. كما ترجمت "السراب" لنجيب محفوظ، "فوق الجسر" لمحمد البساطي، "المنتهى" لهالة البدري، "بيت الديب" لعزت القمحاوي، وروايتين للكاتب الفلسطيني ابراهيم نصر الله "قناديل ملك

الجليل" و"زمن الخيول البيضاء"، بالإضافة الى ترجمة أربع روايات للكاتبة السورية غادة السمان "ليلة المليار" و«كوابيس بيروت» و«بيروت 75» و"يا دمشق وداعاً. التي فازت بجائزة أركانساس لترجمة افضل مخطوطة عربية.

بول ستاركي: نائب رئيس الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الاوسط. وكان حتى تقاعده عام 2012 أستاذا للغة العربية ورئيسا لقسم اللغة العربية في جامعة درام، المملكة المتحدة. ومن بين كتبه ومقالاته دراسة عن توفيق الحكيم بعنوان "من البرج العاجي" (1987)، موسوعة الأدب العربي (تحرير مع جولي ميسي (1998). وقد ترجم بول ستاركي الكثير من الروايات العربية الى الإنكليزية لرشيد الضعيف وأدوار الخراط وتركي الحمد ومنصورة عز الدين وجرجي زيدان ومهدي عيسى الصقر وعدنية شبلي ومصطفى خليفة. فاز بجائزة سيف غباش بانيبال للترجمة للعام 2015 عن ترجمته لرواية "كتاب الطغرى" للكاتب المصري يوسف رخا.

صوفيا فاسالو: نالت شهادة الدكتوراة من جامعة كامبريدج برسالة في الفكر الأخلاقي المعتزلي في 2006. منذ ذلك الوقت شغلت عدة مناصب بين البحث والتدريس في عدة جامعات ومؤسسات علمية. وهي تعمل الآن أستاذة في اللاهوت الفلسفي في قسم الدراسات الدينية في جامعة بيرمينغهام. مدار بحثها الفكر الأخلاقي الإسلامي خاصة النزعات العقلانية منه، ولها أيضا عدة دراسات في الفكر الفلسفي الغربي. تضم أعمالها المنشورة: "الفاعل المكلف ومستحقته: ملامح الفكر الأخلاقي عند المعتزلة" (2008)، وقد نال جائزة ألبرت حوراني للدراسات الشرق أوسطية للعام 2009، و«شوبنهاور والموقف الجمالي: الفلسفة كممارسة للسمو» (2013)، و«الفكر الأخلاقي لدى ابن تيمية» (2015). تنشط في ترجمة الأدب العربي الكلاسيكي والحديث. وأخيرا، قامت بترجمة رواية "السبيليات" للكاتب الكويتي اسماعيل فهد اسماعيل وصدرت ترجمتها عن دار انترلكن الأميركية 2019.

رافائيل كوهين: مترجم يعمل في القاهرة. ترجم رواية منى برنس "إني أحدثك لتري" (2011)، ورواية "إيموز" للكاتب إسلام مصباح (2013). كما ترجم ثلاث روايات للكاتبة أحلام مستغانمي "عابر سرير" (2011) "ذاكرة الجسد" (2011) و"فوضى الحواس" (2014)، ورواية "أجنحة الفراشة" لمحمد سلماوي. ترجم العديد من القصائد لشعراء من العالم العربي وجميعها نشرت في أعداد مختلفة من مجلة بانيبال. بالإضافة الى "مختارات شعرية" للشاعر والرسام المصري أحمد مرسي، تصدر في خريف العام 2020 عن منشورات بانيبال.